التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 188 السنة 21 - يوليو 2023

أحمد الشملان

وداعاً رمزنا الوطنيّ الباقي

المنبر التقدمي ينعى رئيسه الفخري

الشخصية الوطنية البارزة المناضل أحمد الشملان

فُجعنا صباح اليوم الجمعة، الثالث والعشرون من يونيو/ حزيران، برحيل الشخصية الوطنية التاريخية البارزة، الرئيس الفخري لمنبرنا التقدمي، المناضل والمحامي والأديب أحمد الشملان، بعد معاناة مع المرض خلال الشهرين الماضيين.

إن رحيل المناضل أحمد الشملان خسارة كبرى للبحرين ولحركتها الوطنية والحقوقية والثقافية، في كافة الميادين التي نشط فيها الرفيق الراحل على مدى عقود من عمره، وسيترك غيابه فراغاً كبيراً في نشاطنا السياسي وفي صفوف الحركة الوطنية، بما مثّله ويمثّله من مكانة نضالية ومعنوية ورمزية، ملهمة لأجيال مختلفة من أبناء وطننا.

ولد أحمد الشملان في أم الحصم بالمنامة عام 1942، وانخرط في العمل السياسي النضالي في عمر مبكر، حيث انضمّ لحركة القوميين العرب، وشارك بفاعلية في انتفاضة مارس 1965، وأمضى، بعدها، عامين في المعتقل منذ إبريل 1965، قبل أن ينفى إلى الخارج، حيث تنقلّ بين مدن المنفى، وفي الفترة من 1968 حتى 1971 كان عضواً في الحركة الثورية لتحرير الخليج العربي، ومرّ بتجربة نضالية في إقليم ظفار بعمان على فترتين في عامي 1969 و1971، كما اعتقل في دبي في عام 1969. في بداية السبعينيات أصبح الرفيق الراحل عضواً في جبهة التحرير الوطني في البحرين، حيث اعتقل مرة أخرى في العام 1972، وبعد اطلاق سراحه في العام 1974 نشط في الحراك السياسي والعمالي الذي تزامن مع بدء التجربة البرلمانية الأولى حيث حققت "كتلة الشعب" والنواب الوطنيون المستقلون نجاحاً كبيراً في انتخاباتها، وبعد اجهاض تلك التجربة أعيد اعتقاله في يونيو 1974، حيث كان ضمن أول مجموعة طبق عليها قانون أمن الدولة سيء الصيت.

بعد خروجه من السجن في العام 1975، سافر لمواصلة دراسته الجامعية في الاتحاد السوفيتي، حيث حصل على ماجستير في القانون الدولي من جامعة الصداقة في موسكو، وبعد انتهاء دراسته وعودته إلى الوطن اعتقل من جديد فور وصوله في أغسطس 1981، حيث بقي في المعتقل خمس سنوات متواصلة.

لم تنل سنوات السجن المتكرر والمتتالي من إرادته الفولاذية وعزيمته، فبعد اطلاق سراحه في العام 1986، انخرط بفعالية في الحراك السياسي المطالب بعودة الحياة البرلمانية وإعادة تفعيل دستور البلاد، حيث كان عضواً مؤسساً للجنتي العريضتين، النخبوية والشعبية، المطالبة بالحقوق السياسية والدستورية، وتولى خلال التسعينات مهمة الدفاع عن عدد كبير من المعتقلين السياسيين وسجناء الرأي، وقد صودر جواز سفره ومنع من السفر، كما استدعي للتحقيق عدة مرات، قبل أن يصار إلى اعتقاله مرة أخرى في العام 1996، وقدّم لمحكمة أمن الدولة التي حكمت ببراءته تحت ضغط حملة التضامن الأممية معه.

في ديسمبر من العام نفسه أصيب بجلطة في القلب، وبعد شهور بجلطة أخرى في الدماغ على أثر استدعائه للتحقيق من قبل أجهزة الأمن، ورغم ما سببته له الجلطة من إعاقة في الكتابة والكلام، ظلّ حاضراً، وبقوّة، بقامته النضالية المهيبة، في نشاط الحركة الوطنية، وخاصة في تنظيمه المنبر التقدمي الذي اختاره رئيساً فخرياً له بعد تأسيسه، تقديراً لدوره النضالي ومكانته الكبيرة في تاريخنا الوطني.

إضافة إلى دوره النضالي والحقوقي برز رفيقنا الراحل أحمد الشملان في المجال الأدبي والصحفي والثقافي، فقد بدأ كتابة الشعر مبكراً، ونشرت قصائده الأولى في الصحافة الكويتية وخاصة في مجلة "الطليعة" في نهاية الستينات، وبعد خروجه من المعتقل في الثمانينات نشط في الحركة الأدبية البحرينية، وكان عضواً في أسرة الأدباء والكتّاب، وعضواً في هيئة تحرير مجلتها "كلمات"، وأصبح رئيساً لتحريرها في العام 1997، كما كان يكتب مقالاً يومياً بعنوان «أجراس»، ينشر في صحف: "أخبار الخليج" البحرينية، "الخليج" الإماراتية، "الشرق" و"الراية" في قطر، و"الوطن" و"الرأي العام" في الكويت.

كما صدرت له مجموعة كبيرة من المؤلفات الشعرية بينها: "زنابق العشق"، "الأخضر الباقي"، "ملكة باربار"، "رائحة في الذاكرة"، "ملفات الجزيرة العاشقة"، وجمع مقالاته الصحفية في كتاب: "أجراس الأمل" الذي صدر في جزئين، أضافة إلى كتابيه النقديين:" المحو والكتابة"، "مقالات في المسرح".

هذه السيرة الحافلة للرفيق الراحل هي مجموعة أوسمة على صدر وطننا وحركتنا الوطنيّة، وستظل ذكراه خالدة في القلوب تتناقلها الأجيال التي ستجد فيها الكثير من العبر والدروس، لا للحاضر وحده، وإنما للمستقبل ايضاً.

يتقدّم المنبر التقدمي بصادق العزاء والمواساة إلى زوجة الرفيق الراحل، الشخصية النسائية والثقافية المعروفة، الأستاذة فوزية مطر، رفيقة دربه التي وقفت إلى جانبه طوال مراحل حياته الصعبة بين السجون والمنافي ومعاناة المرض، وإلى ابنه خالد وابنته سبيكة، وإلى جميع أفراد عائلته ورفاقه وأصدقائه، وإلى كل الوطنيين والشرفاء في وطننا وخارجه، ممن عرفوا الراحل وتابعوا مسيرته.

الخلود لذكراك يا أبا خالد، وستبقى لنا رمزاً حاضراً، ونوراً يضيْ الدرب.

المنبر التقدمي
٢٣ يونيو ٢٠٢٣

موقفنا

أحمد الشملان

الشخصية الوطنيّة الجامعة

كان هذا العدد من «التقدمي» على وشك الطباعة حين صدمنا جميعًا خبر رحيل رفيقنا، القائد الوطني البارز، والرئيس الفخري لمنبرنا التقدمي، المناضل أحمد الشملان بعد معاناة مع المرض في الفترة الأخيرة، وسنخصص ملفًا كبيرًا عن حياة ونضال فقيدنا الغالي في عددنا القادم، سنسعى فيه، ما أمكننا، أن نسلط الأضواء على محطّات حياته الثريّة متعددة الأوجه.

لقد كانت الجنازة الكبيرة للرفيق أحمد الشملان وعزاؤه دليلًا ساطعًا على مكانته الكبيرة في نفوس أبناء وبنات شعبه، وما يحظى به من محبّة وتقدير داخل البحرين وخارجها، حيث شارك في التشييع والعزاء ايضًا أشقاء من بلدان خليجيّة أخرى، بينهم وفد الحركة التقدميّة الكويتيّة، ودلّ على ذلك أيضًا حجم ما تلقته عائلته ورفاقه في المنبر التقدمي من تعازٍ من أحزاب وهيئات وشخصيات وطنيّة وقوميّة وتقدّميّة عربيّة، كما أصدرت جمعيات سياسيّة بحرينيّة تمثل اتجاهات مختلفة بيانات تنعى فيها الفقيد، وتُعدّد مآثره الوطنيّة والكفاحيّة.

أظهر كل ذلك أن أحمد الشملان شخصية وطنيّة جامعة، بتضحياته الغالية، بالسنوات الطوال التي قضاها في المعتقلات والسجون عدة مرات منذ ستينيات حتى تسعينيات القرن الماضي، فضلًا عن سنوات المنافي والغربة، دون أن ينال ذلك من إرادته وتمسكّه بموقفه الوطني الشجاع ونضاله من أجل حرية الوطن واستقلاله، ومن أجل حقوق شعبه في الديمقراطية والعدالة والحقوق الكريمة، وكان في مثال ذلك مثال المناضل العابر للطوائف والعصبيّات، والمنحاز لكل ما يُوحد شعبه ويجمعه في النضال من أجل وطن حر وشعب سعيد، تكون الوحدة الوطنيّة الراسخة هي أحد مَرتكزاته الراسّخة.

وكتجسيد حي بالأفعال والتضحيات، لا بالأقوال، شارك أحمد الشملان بكل شجاعة في كافة المحطات النضاليّة التي عرفتها البحرين خلال أكثر من نصف قرن، منذ أن انخرط، وهو شاب يافع، في انتفاضة مارس 1965، وما تلاها من تحركات سياسيّة ومطلبيّة وحقوقيّة، ولم ينل المرض الذي نال منه في منتصف التسعينيات بعد اصابته بجلطة دماغية من عزيمته، وظلّ بكل ما يمثله من مهابة وطنيّة ومكانة رمزيّة كفاحيّة مهمة حاضرًا في حياتنا السياسيّة، من خلال دوره كرئيس فخري للمنبر التقدمي منذ تأسيسه، وهو بهذه المواقف وبهذا الإرث النضالي الثري سيظلّ القدوة والملهم لكل الساعين للحق والعدالة والكرامة في وطننا.

التقدمي

جموع غفيرة تشيع المناضل الوطني أحمد الشملان إلى مثواه الأخير

المطلوب لوبي برلماني لتعديل لائحة المجلس

«مركزية» التقدمي: ميزانية الدولة لم ترتق لتطلعات المواطنين

قالت اللجنة المركزية للمنبر التقدمي في بيان لها عقب اجتماعها الدوري، بأنه: "منذ إقرار السلطة التشريعية لبرنامج عمل الحكومة المبهم، على أساس وعود بتحسين حياة المواطنين، إلا أن الميزانية العامة للسنتين 2023 و2024 لم تؤخذ بالاعتبار تلك الوعود وفق ما هو منتظر ومطلوب بشكل ملح".

وأوضح بيان اللجنة المركزية بأن: "الحكومة لا تزال تصرّ على أن تبقى الجباية الضريبية من خارج النشاط الاقتصادي، وخصوصاً ضريبة القيمة المضافة، لتشكّل مركز الثقل في هذه الإيرادات غير النفطية، كما أنها لا تزال وللسنة الثالثة على التوالي منذ إقرار الحد الأدنى العالمي للضرائب على الشركات الكبيرة بنسبة 15٪ تستبعد هذا المصدر القوي من مصادر الإيرادات الممكنة، رغم ضرورة فرض ضرائب على الشركات الكبرى وعلى مبيعات شركات الإنترنت العالمية وعلى الأراضي البيضاء والثروات غير المستغلة اقتصادياً".

ولفت البيان إلى أنه: "من أهم الخطوات الآن العمل على تشكيل لوبي موسع من البرلمانيين يتقدم باقتراح بقانون بالتعديل على اللائحة الداخلية وتوسيع دور المجلس النيابي في الرقابة والاستجواب وتشكيل لجان التحقيق وطرح الثقة، وفي ذات الوقت العمل من خلال لجنة الدعم في المجلس لتحقيق مكاسب تعويضية عما لم تحققه الميزانية للناس، وهي مطلوبة بكل إلحاح في مجالات الحماية الاجتماعية والتعليم والصحة والسكن ومحاربة البطالة وبحرنة الوظائف وكل ما يتعلق بمستوى ونوعية الحياة".

وأشار البيان إلى أنه: "رغم بعض الزيادات الضئيلة في بعض جوانب الإنفاق الاجتماعي والتي جاءت تداركاً لتعاظم الضغط المجتمعي والنيابي، إلا أن التقدمي وسيقدم كل الدعم الممكن في سبيل إنجاح عمل برلماني وطني فعال يستجيب لتطلعات الناس، رغم ضيق المساحة المتاحة والتقييدات والمصادرة المتزايدة للصلاحيات".

واعتبر البيان بأنه: " على الحكومة إعادة النظر في انتهاج السياسات ذات النهج النيوليبرالي والاتجاه نحو برامج تُوْقف الانحدار المتسارع في الفقر لفئات واسعة من الشعب وانهيار مستمر للفئات الوسطى ومجالات الأعمال الصغيرة والمتوسطة جراء تنفيذ وصايا صندوق النقد والبنك الدوليين الكارثية، وهذا لن يتحقق إلا باستدارة داخلية حقيقية نحو محاربة الفساد الإداري والمالي وكفّ أيدي المفسدين وإطلاق طاقات الكوادر الوطنية التي تزخر بها بلادنا في مختلف المجالات والتخلي عن ممارسة العزل السياسي، وإطلاق الحريات العامة، خاصة حرية الرأي والتعبير للأفراد والجماعات، وهو أمر لن يتحقق باستمرار تكميم الأفواه وتسقيط الآراء المختلفة، وهذا يتطلب تفعيل الرقابة الشعبية بتمكين المجتمع المدني من ممارسة نشاطه المعزز للإصلاحات الضرورية والإسهام الفعلي في عملية التنمية المستدامة".

إقليمياً

على الصعيد الاقليمي، أشار البيان إلى: «ما شهدته المنطقة مؤخراً من اتفاق بين المملكة العربية السعودية وإيران برعاية صينية، وقد أظهرت مجريات الأمور منذ توقيعه أن جميع الأطراف المعنية ماضية في تحقيقه بثبات، وينعكس إيجاباً على حل مختلف القضايا الخلافية، وتابع:» الاتفاق يعتبر انعطافة نوعية في العلاقات بين بلدان وشعوب المنطقة والتي تحَوّل التهديدات السابقة إلى فرص للتعاون والتكامل مستقبلاً، وتنزَع بؤر التوتر التي طالما هددت أوضاع المنطقة وجعلتها عرضة لابتزاز مستمر من قبل الإمبريالية والصهيونية»، وأضاف:» ستبعث هذه التحولات على الاستقرار السياسي والاجتماعي في بلداننا، وتضع حداً لسباق التسلح المحموم الذي ساد المنطقة لعقود، هادراً مواردها الضخمة التي كان يجب أن تخصص لخير ورفاهية الشعوب».

وأدانت اللجنة المركزية ما وصفته بالحرب العبثية التي تجري في السودان بين جنرالات الحرب للسيطرة على السلطة، حسبما جاء في البيان. وأدانت مركزية التقدمي هذه الحرب التي راح ضحيتها المئات من أبناء الشعب السوداني الشقيق بين قتيل وجريح، ودعا البيان إلى أن: «تتوقف ويسود السودان السلام والديمقراطية في ظل حكم مدني ديمقراطي، وتحقيق الأهداف التي ناضل من أجلها الشعب السوداني وقام بثورته لبلوغها، مقدّماً في ذلك أغلى التضحيات».

في اليوم العالمي للبيئة

التقدمي: لنجعل الشأن البيئي أولوية

شدد المنبر التقدمي عبر لجنة البيئة على أهمية الملف البيئي والتغيّر ات المناخية ووضع هذا الملف على قائمة أولويات الدولة واهتمامات المجتمع في سبيل هدف وجود نظام بيئي متكامل ومستدام يساعد على المحافظة على البيئة ومواجهة التغيرات المناخية ووضع آليات تسهم في رفع الوعي المجتمعي بالقضايا البيئية والتعامل مع المتغيرات وفق نسق بيئي فاعل ومنضبط.

ودعت لجنة البيئة بالمنبر التقدمي إلى: "تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني في مجال التوعية وتبني الخطط التي تمكن هذه المؤسسات للقيام بدورها الجاد والفاعل حيال القضايا البيئية والمناخية ورفع جاهزية البحرين في مواجهة كل أنواع الملوثات ومواجهة التحديات والمتغيرات البيئية والمناخية والتحول نحو ممارسات صديقة للبيئة، كما شددت اللجنة على ضرورة وضع مجلس النواب الشأن البيئي ضمن أولوياته في الفترة المقبلة".

وأكدّ التقدمي على أن: "المجتمع المدني بكل مؤسساته يجب أن يكون شريكاً أساسياً في هذه المهمة وتحقيق رؤية وطنية مشتركة ومتكاملة لمواجهة التحديات المتعلقة بقضايا البيئة والتغيرات المناخية التي باتت خطراً حقيقياً يمثل تهديداً واضحاً لمستقبل البشرية"، مشدداً على أن:" البيئة الصحية الآمنة هي حق من حقوق الإنسان وفق ما أقره مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة والذي أكد على أهمية التزام الدول بحماية حقوق الإنسان في التمتع ببيئة آمنة ونظيفة وصحية ومستدامة".

التقدمي يدين الاعتداء على مقر «الشيوعي» السوداني

أدان المنبر التقدمي الاعتداء الوحشي على مقر الحزب الشيوعي السوداني من قبل «قوات الدعم السريع» وطالب بإخلاء المقر فورًا، وتقديم المعتدين للعدالة.

واعتبر التقدمي بأن: «هذا الاعتداء ليس سوى توغل في نهج الثورة المضادة، لإسكات القوى والمؤسسات المدنية التي انحازت وبشكل مطلق مع تطلعات جماهير الشعب السوداني، وعبرت بصدق عن طموحه في تحقيق العدالة والديمقراطية ونبذ كل أشكال الشللية والعصبيات الدينية والمناطقية، وأدانت الصراع المسلح وطالبت بتسليم السلطة إلى سلطة مدنية».

وقال التقدمي في بيان تضامني مع الحزب الشيوعي السوداني بأن: «أي محاولة لطمس ومحو مقار الحزب الشيوعي السوداني من قبل ميليشيات الدعم السريع لا يمثل فقط اعتداء على الحزب وإنما هو اعتداء على إرادة الشعب والقيم التي تمثلها الثورة».

وشدّد التقدمي على تضامنه مع الشيوعي والشعب السوداني الشقيق، داعياً إلى: «وقف الحرب العبثية وحقن الدماء السودانية، وعودة الجيش وقوات الدعم السريع إلى ثكناتهم، وتسليم السلطة إلى القوى المدنية وهي مطالب الجماهير السودانية التي قدمت المئات من الشهداء والجرحى والمعتقلين منذ بدء الثورة في ديسمبر 2019، وأن تتوقف القوى الأجنبية عن التدخل في الشأن السوداني».

ضمن أنشطة التقدمي

هشام عقيل يحاضر عن «رأسس المال الكولونيال»

نظم التقدميّ محاضرة بعنوان (حول كتاب رأس المال الكولونياليّ) تحدث فيها الكاتب هشام عقيل عن كتابه الجديد الصادر عن المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، حيث بدأ محاضرته بتقديم خلفيّة عامة للوضع العلميّ للماديّة التاريخيّة مؤكّداً أنه لم يكتب الكتاب إلا ليخرج الماديّة التاريخيّة من عصور الظلام على حسب تعبيره، مشيراً إلى أنه توصل إلى أن العلم لم يعد قادراً على إنتاج فرضيات جديدة، أثناء دراسته لقضية التبعيّة، وهيَ دراسة مقادة بهمّ تثوير العلم لمراتب أعلى.

وحسب عقيل، فإن تثوير الماديّة التاريخيّة يعتمد على دراستنا لقضيّة التبعيّة، ولما كان تثوير الماديّة التاريخيّة يعتمد على نظريّة التبعيّة في دراسة العمران "على نحو محض"، فإن اختتام العلم قد بدأ، وبالتالي يكون في تقديره آخر شرّاع هذا العلم، مشيراً إلى أن النظرية الكولونيالية اكتشفت قارات جديدة لم تُكتشف فيه بعد. فكان العلم التاريخي، قبل النظرية الكولونيالية، في تصوّر أصحابه، مكوّناً على الأغلب من قارة أو قارتين واقعتين على أرض مسطحة، ولكن أدّت النظرية الكولونيالية إلى تعديل كُلّي لا في مجال نمط الإنتاج الرأسمالي فحسب، بل في مفهوم نمط الإنتاج نفسه، كعلم يضع عمران نمط الإنتاج وتاريخه كموضوعه.

في القسم الثاني من المحاضرة، ذهب عقيل نحو كشف آليات رأس المال الكولونياليّ، مؤكّداً أنه من المستحيل فهم طبيعة رأس المال الكولونياليّ على نحو غير ديالكتيكيّ، إذ إنه رأس مال يتضمن توجهين متناقضين يحدّدان طبيعة تطوره، وهو دائماً تطور محدود مقارنة بتطور رأس المال الإمبرياليّ غير المحدود، وعلى هذا الأساس يحدّد عقيل أن البلدان الكولونياليّة لا يمكن أبداً أن تصير إمبرياليّة. ولكن هذا لا يعني، حسب عقيل، أنه لا يُمكن لهذه البلدان أن تتطور، وبل يؤكّد على حتميّة تطورها لتكون ما يسميه البلدان الكولونياليّة المهيّمنة (مثل الصين، والهند، وروسيا).

من هذه النقطة، ينطلق عقيل في نقده للنظريّات والأفكار التي تدعو إلى العالم المتعدد الأقطاب كما لو كان هو المخرج من عالم تسيطر فيه الإمبرياليّة، إذ يؤكّد عقيل أن حسب نظريّته الإمبرياليّة هي بنية وليست حفنة من بلدان تسيطر على العالم، ومحتم على هذه البنية أن تتّجه إلى عالم تصعد فيه البلدان الكولونياليّة المهيمنة، من دون أن يعني ذلك أن تبعيّة تلك البلدان قد رفعت، ومن دون أن يعني ذلك أن الإمبرياليّة تمّ مقارعتها على الإطلاق.

وأكدّ عقيل أن الأزمة ليست أزمة الهيمنة الأمريكية فحسب، بل أزمة البنية الإمبريالية العالمية المبنينة بالهيمنة هذه، من وجهة نظر العلم، نرى أن "نهاية التاريخ" هي بالتحديد، مع كلّ المضامين المفارقة، تكمن في عدم قدرتها على أن تكون نهاية التاريخ، بل نهاية تاريخ الرأسمالية.

فضفضة

بين مجلسين

عيسى الدرازي

لو أخذنا المتسويين البرلماني والسياسي فقط، سنجد أن مجلس الأمة الكويتي يتفوّق على نظيره البحريني، والشواهد كثيرة، ليس آخرها ما أفضت إليه الانتخابات البرلمانية الكويتية من نتائج قلبت أجنحة المجلس عما كانت عليه في مجلس 2020، ورسخّت بصورة أكثر حسماً صورة مجلس الأمة ذي النسخة 2022.

فرق الممارسة البرلمانية بين المجلسين يعود لأسباب كثيرة، ولكن في مقدّمة تلك الأسباب يأتي عامل الخبرة حيث البون شاسع بين مجلس الأمة الكويتي الذي بلغ فصله التشريعي السابع عشر الذي أفتتح دور انعقاده قبل أيام، ومجلس البرلمان البحريني الذي لازال يناهز فصله السادس.

تتطوّر عوامل التجربة البرلمانية البحرينية ممارسةً وأداءً على أقل تقدير، تستلزم إصلاحات تشريعية واسعة تضمن للمجلس القيام بدوره الدستوري المناط به فيما يتعلق بالرقابة والتشريع وحماية المال العام وكشف مكامن القصور في أداء السلطة التنفيذية سبيلاً للإصلاح وتفضيلاً للصالح العام، تحقيقاً لدولة المؤسسات والقانون التي لا يختلف عليها أحد.

الدعوة التي وجهتها اللجنة المركزية للمنبر التقدمي في بيانها الأخير تحتاج لأذن صاغية من أصحاب القرار في السلطة التنفيذية، حيث قال البيان بأنه: «من أهمّ الخطوات الآن العمل على تشكيل لوبي موسع من البرلمانيين يتقدم باقتراح بقانون بالتعديل على اللائحة الداخلية وتوسيع دور المجلس النيابي في الرقابة والاستجواب وتشكيل لجان التحقيق وطرح الثقة، وفي ذات الوقت العمل من خلال لجنة الدعم في المجلس لتحقيق مكاسب تعويضية عما لم تحققه الميزانية للناس، وهي مطلوبة بكل إلحاح في مجالات الحماية الاجتماعية والتعليم والصحة والسكن ومحاربة البطالة وبحرنة الوظائف وكل ما يتعلق بمستوى ونوعية الحياة».

المطالبة بتعديل اللائحة الداخلية لمجلس النواب يجب أن تلقى استجابة جميع أعضاء المجلس، لأنهم باتوا يعانون بعدما كثر الاقتطاع من صلاحيات المجلس واعضاءه، وبات في صورته الحالية مجلس برلمان وفق الضوابط الحكومية وليس وفق ما نصّ عليه الدستور من مبادئ وقيم تمثل صلب العملية التشريعية.

الحديث عن إصلاح اللائحة الداخلية لمجلس النواب، يجب ألا يلاقي حواجز حكومية أو شورية، كي لا تستطيع تخطيها وصولاً لإقرارها، بل من الملائم ان يترك الجناحان الحكومي والشوري الفرصة الكاملة للنواب لإصلاح ما يراد إصلاحه وتعديله في اللائحة الداخلية استناداً على ما تنصّ عليه مواد الدستور ومبادئ ميثاق العمل الوطني وتفعيلاً لجوهر وجود برلمان يُعنى بالتشريع أولاً.

المحامي ربيع: حان وقت إعادة طرح قانون النقابات المهنية

أشار المحامي محمود ربيع إلى أن: «تسمية الكيان المهني للمحامين تغيّرت من نقابة المحامين إلى جمعية المحامين البحرينية عام 1977، إلا أن المسمى الأول يبقى الأقرب إلى المحامين، وأن الوقت قد حان لفتح نقاش جاد حول موضوع النقابات المهنية بين مكوّنات المجتمع المدني والسلطة التنفيذية والمجلس الوطني بغرفتيه، وأصبح ملائمًا الآن إعادة طرح مشروع قانون النقابات المهنية – والذي كانت مسودّته مطروحة منذُ الفصل التشريعي الثاني – وأن تتبنّى الجهات ذات العلاقة خصوصًا الجمعيات المهنية كالأطباء والمهندسين والمحامين التحول إلى نقابات حرة مستقلة تختص وحدها بتنظيم المهنة والسير بأعبائها بما في ذلك حق القيد والترخيص والتأديب تحت رقابة القضاء، وعلى قاعدة أن تكون العضوية في النقابات إلزامية، وهو أمر تنظيمي من أجل إعطاء القوة والمهابة للكيان النقابي، فضلاً على أنه معمول بها في العديد من دول العالم من أجل وحدة العمل النقابي ومنع التشرذم وتفرق الجهود.

وبمناسبة يوم المحامي البحريني استعرض ربيع بأن يوم 15 يونيو من عام 1974 هو اليوم الذي اجتمع فيه المؤسّسون من المحامين البحرينيين لإقرار النظام الأساسي لنقابة المحامين البحرينية فتم اعتماد هذا التاريخ يومًا للمحامي البحريني نحتفل به مستذكرين الجيل المؤسس من المحامين الأوائل الذين حملوا شعلة مهنة المحاماة وكانوا مثالاً يحتذى في مهنة المحاماة، ولا سلطان عليهم في ذلك، إلا ضمائرهم وأحكام القانون، وكل ذلك لأن المحاماة مهنة حرة تشارك السلطة القضائية في تحقيق العدالة وفي تأكيد سيادة القانون وفي كفالة حق الدفاع عن الحقوق والحريّات.

«الأيام» – 15 يونيو 2023

بأمر المحكمة إعادة صرف بدل التعطل لبحرينية

حكمت المحكمة الإدارية بإلغاء قرار العمل بإيقاف صرف اعانة بدل التعطل لبحرينية، وأمرت المحكمة بإعادة صرف اعانة بدل التعطل لها مجددا بعد ان أوقفت الوزارة صرف البدل بادعاء رفضها قبول الوظيفة المعروضة عليها، حيث أشارت المحكمة الى أن الوزارة تمسكت بأن المدعية رفضت فرص العمل التي تم توفيرها لها، فيما تمسكت الأخيرة بعدم رفض فرص العمل، فأشارت المحكمة إلى أن الوزارة لم تقدم الملفات والسجلات ذات الأثر الحاسم في هذا النزاع من حيث إثبات مناسبة الوظائف المعروضة على المدعية ورفضها لتلك الفرص، ولم تقدم أي دليل يؤدي الى الوصول الى الحقيقة لأعمال رقابة القضاء بشأن صحة القرار وقف صرف البدل.

وكانت المدعية رفعت دعواها طلبت الحكم بإلغاء قرار وقف إعانة التأمين ضد التعطل واعادة فتح ملف التوظيف الخاص بها، وذكرت أنها كانت تتسلم إعانة التأمين ضد التعطل إلا أنها فوجئت بوقف صرف تلك الاعانة وغلق ملفها التوظيفي تأسيسا على رفضها فرص العمل المعروضة عليها، فتظلمت من ذلك امام المدعى عليها الا ان تظلمها قوبل بالرفض. وقالت المحكمة في حيثيات حكمها أن المقرر في قضاء محكمة التمييز أن عبء الإثبات في المنازعة الإدارية لا يخرج عن الأصل العام الذي قرره قانون الإثبات في المواد المدنية والتجارية، وهو وقـوع هذا العبء– بحسب الأصل– على عاتق المدعي فهو المكلف بإثبات دعواه والملزم بتقديم الدليل على ما يدعيه، كما أنه من المقرر أن القرار الإداري يحمل على سببه الصحيح ما لم يقم الدليل على عدم صحته، وأنه لا إلزام على جهة الادارة بتسبيب قراراتها ما لم يلزمها القانون بذلك وأن عيب إساءة استعمال السلطة يجب إقامة الدليل عليه لأنه لا يفترض.

«أخبار الخليج» – 17 يونيو 2023

ملتقى تضامني مع عمّال وشعب فلسطين في جنيف

أقامت منظمة العمل العربية التابعة لجامعة الدول العربية في جنيف، الملتقى السنوي التضامني مع عمال وشعب فلسطين والأراضي العربية المحتلة الأخرى، وذلك بالتعاون والتنسيق مع البعثة الدائمة لدولة فلسطين لدى الأمم المتحدة في جنيف. يأتي الملتقى على هامش فعاليات الدورة الـ 111 لمؤتمر العمل الدولي الذي تنظمه منظمة العمل الدولية التابعة للأمم المتحدة.

وحضر الملتقى عدداً كبيراً بلغ حوالي 200 مشارك من الوزراء ورؤساء المنظمات العمالية ومنظمات أصحاب الأعمال وممثلي الوفود العربية وممثلين من البلدان الأفريقية والأسيوية والأوروبية.

وشهد الملتقى عددًا من الكلمات لكل من المدير العام لمنظمة العمل العربية فايز المطيري، الوزير نصري أبو جيش وزير العمل الفلسطيني، جيلبرت ف. هونغبو المدير العام لمنظمة العمل الدولية، بالإضافة إلى كلمة فرق الحكومات وأصحاب الأعمال، ورئيس فريق العمال للدورة 111 لمؤتمر العمل الدولي، وعبر المتحدثون عن دعمهم القضية الفلسطينية وإدانة الإحتلال الإسرائيلي وفضح الممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني والأراضي العربية المحتلة.

وأكد المتحدثون أهمية قرارات مؤتمر العمل العربي ومجلس إدارة منظمة العمل العربية، مشددين على طلب أجهزتها (المؤتمر والمجلس) الدستورية المتكرر بشأن أهمية مناقشة ملحق تقرير المدير العام لمنظمة العمل الدولية، والخاص بالأراضي العربية المحتلة والذي يعتبر جزء لا يتجزأ من تقرير المدير العام لمنظمة العمل الدولية.

موقع العهد الاخباري

نقابة عمال أسري: قوائم عاجلة للإدارة للترقيات

سلمت نقابة عمال أسري إدارة الشركة 3 قوائم للنظر فيها بشكل عاجل، وهي قائمة المستبعدين من الترقيات مؤخرا وترقيات وتعديل رواتب الذين مضى عليهم 5 سنوات ولم يحصلوا على أي تعديل أو درجة.

كما رفعت النقابة قائمتين أخريين، الأولى قائمة البحرينيين المؤهلين ذوي الخبرة العملية لسنوات ولم يحصلوا على الدرجات الإشرافية والإدارية مؤخرا وأصحاب الشهادات المستحقين للترقيات والمناصب القيادية والتي نوقشت في أكثر من اجتماع تفاوضي، وضمت القائمة الثانية العمال الذين أمضوا 30 عاما من الخدمة في الشركة ورواتبهم ما زالت دون المأمول مقارنة بتضحياتهم وعملهم الدؤوب المستمر حتى هذه اللحظة.

دلمون للدواجن توقف الدعم المالي عن النقابة

كشفت نقابة شركة دلمون للدواجن بأنها تفاجأت من قرار الإدارة التنفيذية بوقف الدعم المالي السنوي للنقابة.

ووصفت النقابة قرار الإدارة التنفيذية بـ «غير المقبول»، معتبرة بأن له: «تعبات سلبية على أنشطة وبرامج النقابة التي تقدمها للعمال».

وبينت بأن: «هذا القرار يأتي بعد قرار إيقاف الرتب التشجيعية وتقليل دعم السلة الرمضانية، مما سيؤثر بشكل سلبي على العمال وعلى ادائهم في العمل».

ودعت النقابة الإدارة التنفيذية لمراجعة قراراتها، مشيرة إلى أنه: «جميع الأطراف عليهم ان يعملوا معاً لتحسين وضع العمال وتحقيق مطالبهم وتوفير بيئة عمل مناسبة وعادلة للجميع، يجب ان يوضع بعين الاعتبار بأن العمال هم العمود الفقري للشركة».

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

تأسيس نقابة للعمالة المنزلية

تزامناً مع اليوم العالمي للعمالة المنزلية الذي يصادف 16 يونيو 2023، عقدت اللجنة التحضرية للمؤتمر التأسيسي للنقابة العامة لعمال المنازل مؤتمرها بفندق كراون بلازا، وحضر المؤتمر عن طريق تقنية الزوم السيدة صوفيا ممثلة عن منظمة العمل الدولية والسيدة إلزابيث ممثلة عن الاتحاد الدولي للعمالة المنزلية، وقد ألقت السيدة صوفيا كلمة منظمة العمل الدولية عبرت فيها عن سعادتها بتحقيق هذا الانجاز الذي تم الاعداد والتهيئة له منذ عام 2015 عبر البرامج والعمل المشترك بين المنظمة والاتحاد العام لنقابات عمال البحرين.

كما ألقت السيدة الزابيث كلمة الاتحاد الدولي للعمالة أكدت فيها على أهمية أن يكون للعمالة المنزلية تنظيم يعبر عن معاناتهم ومشاكلهم، وأن هذا المؤتمر هو نتاج عمل مشترك بين منظمة العمل الدولية والاتحاد الدولي لعمالة المنزلية والاتحاد العام لنقابات عمال البحرين بالإضافة إلى الدعم والتنسيق مع المنظمات الدولية الصديقة.

كما القى نائب الأمين العام حسن الحلواجي كلمة الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين واعتبر بأن هذا الإنجاز هو نتاج طبيعي للعمل الحثيث والجاد بين مختلف المنظمات والمؤسسات الدولية، وأن هذا المؤتمر يعد إنجازا مميزاً يضاف إلى إنجازات الاتحاد العام وترجمة للمبادئ التي قام عليها الاتحاد العام من أنه يعنى بجميع العمال بغض النظر عن جنسهم أو انتماءاتهم وأن العمالة المنزلية في البحرين تتمتع بجميع الحقوق التي نص عليها قانون العمل، وأنها اليوم أصبحت قادرة عن التعبير عن نفسها بنفسها وأن الاتحاد العام سيكون داعماً ومظلة نقابية من أجل أن تمضي هذه النقابة بخطى ثابتة نحو النجاح. وتم خلال المؤتمر مناقشة وإقرار مسودة النظام الأساسي للنقابة العامة للعمالة المنزلية، بالإضافة إلى انتخاب مجلس إدارة النقابة.

«البلاد» – 16 يونيو 2023

عفواً .. إنها العبودية والعنصرية والبؤس يا سادة!

قفز إلى الواجهة مؤخراً أكثر من ناقوس انذار عبر مؤشرات ثلاثة، عن العبودية أولاً، والعنصرية ثانياً، والبؤس ثالثاً، وكل هذه المؤشرات تعبر عن أوضاع مزرية، حتى وإن كانت أسيرة النكران، فإنها ليست عابرة بأي حال، بل هى نتاج سنوات وسنوات من الممارسات والانتهاكات، وستظل تبقى سنوات وسنوات طالما هناك من يستفيد منها ومن مفاعيلها ويستثمرها بشكل لا يعرف المداورة، بل ويفتح لها آفاق جديدة تواكب التطورات والمتغيرات وإيقاع المصالح!

خليل يوسف

عن العبودية نبدأ بالتقرير الصادم بكل معنى الكلمة وعنوانه "مؤشر الرق العالمى لعام 2023"، والصادر مؤخراً كشف بأن عدد الأشخاص الذين وقعوا ضحايا للعبودية الحديثة قد ارتفع بشكل كبير فى السنوات الأخيرة، وأن كلاً من كوريا الشمالية وإريتريا وموريتانيا تسجل أعلى معدلات العبودية فى العالم، وأن نحو 50 مليون آدمي فى جميع أنحاء العالم محاصرون بما أطلق عليه بالعبودية الحديثة، بزيادة 10 ملايين شخص بعد خمس سنوات مضت، من ضمنهم 28 مليون إنسان يعانون من العمالة القسرية، و22 مليوناً بزواج قسري أو استعبادي!

ليس ذلك فقط ما صُنف تحت بند العبودية الحديثة، فقد شمل بالإضافة إلى ذلك عبودية الدين، وعبودية الاستغلال الجنسي التجارى القسري، وتهريب البشر، وبيع واستغلال الأطفال، وتقييد كفالة حقوق العمال الأجانب، والأمر السيئ حقاً ما ذهبت إليه الأمم المتحدة فى تقرير لها نشر مؤخراً من أن العبودية الحديثة توسعت فى جميع أنحاء العالم، وإن تضاعف الأزمات فى السنوات الأخيرة من وباء كورونا، ونزاعات مسلحة، وتغيّر المناخ، الأمر الذى تسبب فى اضطرابات غير مسبوقة فى التوظيف والتعليم وتفاقم الفقر المدقع واناس تعيش فى حالة مزرية، وتكاثر الهجرة القسرية والخطيرة وتفاقم حالات الاحتجاز والإتجار فى المهاجرين، وانفجار حالات العنف القائم على النوع الاجتماعي، وكلها عوامل تزيد من مخاطر العبودية الحديثة..!

أما العنصرية فقد وجدناها تتنوع وتتشعب وتأخذ أوجه مختلفة فى العديد من المجتمعات والجماعات والبلدان، عنصرية انغرست فى البعض من باب اللون أو القومية أو القبيلة أو العشيرة أو الدين أو الطائفة أو المذهب، وربما كان أحد أبرز صورها فى الآونة الأخيرة ما تعرض له مؤخراً اللاعب البرازيلى فينسيوس جونيور جناح فريق ريال مدريد خلال مباراة مع فريق آخر من عبارات شنيعة مليئة بالحقد والكراهية والعنصرية بسبب لون بشرته من جمهور فريق فالنسيا المنافس، ورغم أن هذه ليست المرة الأولى التى توجه فيها مثل تلك العبارات إلى لاعبين فى نوادي وفرق أخرى فى مباريات أقيمت فى بلدان عديدة، فإنه لم يكن مستغرباً أن تقابل هذه الأفعال أينما حصلت، ومن اي جهة صدرت، وفى أي مناسبة رياضية أو غير رياضية باستهجان وإدانة على نطاق واسع على أكثر من مستوى.

ربما يكون أحدث شكل من أشكال العنصرية ذلك المشروع الذى كشفت عنه فى مؤتمر صحفي عضو مجلس ادارة منظمة العمل الدولية ممثلة غرفة تجارة وصناعة البحرين، والذى تقدّم به مدير المنظمة الدولية، فعلى ذمتها فان هذا المشروع يتصل بتعريف ومفهوم الانسان العامل وتصنيفه بحسب اللون او الجنس ، وقالت ان هذا المشروع قوبل بتوجه 70 دولة لرفضه اعتبرته بأنه يحرّف المنظمة الدولية عن مسؤولياتها ويتجه بها نحو السياسة العنصرية، أسوأ ما يمكن أن يعنيه ذلك أن هناك من يدفع لخلط الأوراق بين ماهو انساني وما هو عنصرى، فهل هناك أسوأ من ذلك ..؟!

إلى جانب ذلك فإن جرائم تمييز وعنصرية بصور أخرى عديدة حدثت وتحدث فى دول أوروبية والولايات المتحدة، وكلها نشرت ووثقت ويمكن الرجوع إليها فى أي وقت وكلها قوبلت بشكل أو بآخر بالاستهجان والرفض والإدانة، وكان من الأمور اللافتة مؤخراً حين ظهر المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية على وقع ما حدث للاعب البرازيلى ليعلن بكل وضوح "إن بلاده تدين العنصرية فى جميع أنحاء العالم، وأينما تحدث الممارسات العنصرية بما فى ذلك الرياضة"، وذهب إلى الإشادة بأي جهد يسلط الضوء على هذه الممارسات ويحاربها، وما هو لافت والذى يفرض نفسه بإلحاح أن هناك ممارسات عنصرية فجة كاملة المواصفات والأركان لا يتم التطرق إليها من قبل تلك الدولة التى ترفض العنصرية، فى المقدمة منها الممارسات التى ترتكبها قوات الإحتلال الاسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني، وما تجسده دولة الاحتلال من عدوانية وكراهية واستهتار بالقوانين والقيم وإمعان فى اقتلاع الفلسطينى من أرضه وإلغاء هويته وحرمانه من أبسط حقوق الانسان فى وطنه رغم قوة الحق، وقوّة الشرعية، وقوّة عدالة القضية الفلسطينية، وبالرغم من ذلك تظل الولايات المتحدة وغيرها من الدول تسمعنا الكثير من الطروحات والأقاويل والمزاعم والشعارات الداعمة لحقوق الإنسان ولكنها فى الوقت ذاته تستثنى ما ترتكبه قوات الاحتلال الاسرائيلي من جرائم متماشية، وتتجاهل الحقوق العادلة للشعب الفلسطينى، بل وصل الأمر إلى الى استخدام حق النقض "الفيتو" فى مجلس الأمن الدولى لتعطيل قرارات دولية تدين عنصرية وجرائم الكيان الصهيوني، وكأن هناك مفهوم خاص من قبل امريكا ومن يدور فى فلكها للعنصرية، تطبقه كما تشاء، وكيفما تشاء، وتحت أي عنوان أو ذريعة أو مصلحة تشاء!

بالنسبة للبؤس استدعى الحديث عنه مؤشر البؤس العالمى، وهو مؤشر يعتمد على خوارزمية تمنح كل دولة درجة بناءً على نسب البطالة والتضخم ومعدلات الاقراض المصرفي، ومعدلات الفائدة ونمو الناتج المحلى الاجمالي، واحوال الشعب ونمط حياته، وهى المعدلات التى لها حضور متفاوت بين دولة عربية واخرى، غير أن هناك قواسم مشتركة مزمنة بينها أبرزها البطالة، ازدياد معدلات التضخم، الفقر، وغياب الديمقراطية، القمع ومصادرة الحريات، والتضييق على المجتمع المدنى وتغييب دوره، الفساد الذى تطوّر وتغلغل وأصبح نمطاً لإدارة مفاصل بعض الدول، ذلك وغيره ادى إلى حالة "تبئيس" تطل بكل وبأوضح تجلياتها على واقع هذه الشعوب وغيرها من شعوب ليس بالضرورة أن تكون مدرجة فى ذلك المؤشر حتى الآن على الأقل!

المؤشر الذى يصدره سنوياً استاذ الاقتصاد التطبيقى فى جامعة جون هوبكنز ستيف نانكي يصنف سنوياً ما يقرب 160 دولة فى قائمة الدول البائسة، وظلت زيمبابوي الدولة الأكثر بؤساً فى العالم

لمدة ثلاث سنوات متتالية، ما يهمنا هو ما يخص الدول العربية فعلى ذمة المؤشر فقد كتب على اربع دول عربية ان تكون ضمن أول سبع دول فى مؤشر البؤس فى العالم، وهى سوريا ولبنان والسودان واليمن، أي الدول الغارقة فى نزاعات وحروب وأوضاع تعيسة وراءها من يصنعها ويهندسها ويعيد انتاجها ويفلسفها ويوزعها ويستثمر مردوداتها بكلف دموية مثيرة للهلع جعلت شعوباً فى حالة مزرية إلى درجة أصبحت وكأنها تودع الحياة وتنخرط فى صناعة جنازتها، وكأن هناك من يقول لهذه الشعوب: لم يبق لكم سوى اليأس وعليكم التأقلم معه بقية حياتكم!

امام ذلك الواقع الذى ارتسمت معالمه بشكل مزري، والتنافس الحاصل فى ممارسات مهما تزينت هى بالنهاية أشكال من العبودية والعنصرية والدكتاتورية والبؤس والمتاجرة بالصراعات التى صارت بالنسبة للبعض أكثر ربحاً من مصالح السلام والاستقرار، والضحية شعوب وصل حالها وللأسف الشديد إلى درجة تجد نفسها وقد أصبحت أمام آفاق مسدودة وتنافسات بين السيئ والأسوأ، بين الأمر شديد الوطأة وباهظ الكلفة على كل الصعد، بين طغيان وفساد وهيمنة وتبعية ومهانة وإفقار وانتهاك الكرامات والحقوق، وقمة المأساة حين نعجز حتي عن الاعتراف بهذا الواقع، وحين لا يكون الإنسان قادراً على الكلام والفعل ..!

بقى سؤال ذى مغزى: هل تذكرون الربيع العربي ومآلات هذا الربيع العربي، وتلك الشعارت الواضحة "الحرية والكرامة"، وهل تذكرون كيف رست ثورات هذا الربيع على نهايات مبعثرة بشكل متقن ومدروس أدت الى حال فيها الكثير من السوء والظلم غير المبطن، وما على الشعوب إلا أن تبقي الأصوات الرافضة على الدوام لكل اشكال العنصرية والعبودية واليأس والمساس بحقوق الإنسان التى ترتفع الصيحات هنا وهناك وهنالك باحترامها والإلتزام بمقتضياتها، ومن المضحك والمبكي فى آن واحد أنه فى الوقت الذى ترتفع فيه هذه الصيحات تزداد انتهاكات حقوق الانسان فى العديد من الدول، وبعد أكثر من 75 عاماً على اقرار الاعلان العالمي لحقوق الإنسان، لا تزال مكافحة العنصرية والتمييز العنصرى ضرورة ملحة، ولا تزال العبودية تطل بأكثر من وجه، ولا يزال البؤس حاضراً بأنيابه، ولا يزال هناك من يسعى إلى استحداث صراعات توجه الناس فى الاتجاهات المغايرة لمصلحة أوطانهم ومجتمعاتهم ولا تجعلهم يسلكون طريق الصواب!

من المؤكد أنه ليس أمام الشعوب إلا أن تكون اصواتها جهورة مدوية وفاعلة امام الواقع المتردي فى سبيل بلوغ واقع تمارس فيه الحقوق والحريات على أكمل وجه دون منّة او ارتهان من حاكم او نظام او حكومة، واقع يذهب بالجميع نحو التغيير المنشود فى الظروف، وفى المناخ، وفى الآفاق أيضاً، تغيير ينقل هذه الشعوب من خانة الرعايا إلى خانة المواطنين، وهذا يتطلب إدراكاً ووعياً وعملاً يحول دون استرسال اليأس فى النفوس دون رادع، وكم هو خطير حين يكون اليأس هو المتاح الوحيد أمام الجميع، وتبقى أحوال الناس مفتوحة على المجهول.

حقوق المرأة ومزاعِم المُتشددين

مع أن «حقوق المرأة» هي «حقوق الإنسان»؛ إلا أن تلك الحقوق الإنسانية مازالت تُعتبر مما يجب حرمان المرأة منه في البيئات المُجتمعيَّة المُتخلِّفة بمُختلف الذرائع التي لم تعُد مُقنعة وفق مقاييس التقدم الإنساني والحضاري في عصرنا الراهن، وإذا كانت تلك الحرب الشعَواء الَتي يُطلقها جزء من نصف المجتمع الآخر المُتمثل بـ «الذكور» ذوي الفكر التقليدي المُتطرِّف ممن يتوهمون أن في نيل المرأة حقوقًا مساوية لحقوقهم الأساسية في الشؤون التي لا علاقة لها بالفوارق البيولوجية قد تبدو حربًا ذات أسباب مفهومة نفسيًا من فئة تتصور أن بساط «الأفضليَّة» يُسحب من تحت أقدامها حين ينال نصف المُجتمع الأنثوي المكانة التي يستحقّها؛ فإنها تكون مُثيرةً للسخرية حين تنطلق ممن وُلدنَ بأجساد أنثويَّة لكن أنانيتهن ورغبتهن في الاستئثار بمكاسب حُريتهن التي وفرها لهُن الحَظ أو الظرُوف الاستثنائية تجعلهن يُحاربن حقوق المرأة بطريقةٍ عنيفة يبدينَ معها ذكوريَّات أكثر من الذكور!

زينب علي البحراني

هناك من يزعمون أن «حقوق المرأة» مُرادف لـ «انفلات المرأة»، وهي مُفارقة عجيبة تجعلنا نتساءل: هل «حقوق الرجل» تعني «انفلات الرجُل»؟ هل تعريف «حقوق الرجُل» بوجهٍ عام يعني تسكعه دون قيود بين أحضان باعة وبائعاتِ الأجساد الرخيصة واستسلامه للفسق والعربدة وتعاطي المُسكرات والمُخدِّرات؟ إن لم يكُن الأمر كذلك فمن البديهي أن «حقوق النساء» لا علاقة لها بموضوع «الانفلات والانحلال» من قريب أو بعيد!

وليسَ أعجب ممن يأتي ردهم أمام هذا الجدَل بمنتهى السذاجة: «ولكنهُ رجُل!».. حسنًا؛ وأنا امرأة! ما الفرق؟ الفوارق البيولوجية هُنا لا محل لها من الإعراب مادام لكل منا عينان يرى بهما وفم يتكلم به وأنف يستنشق الأكسجين ويدان يعمل بهما وقدمان يتنقل بهما وعقلٌ يُفكر به، نريد «فوارق جذريَّة» تجعل المرأة تستحق حياة أقرب إلى العيش في حظيرة ماشية موصدة بإحكام بينما يختار الرجل تفاصيل حياته الصغيرة والكبيرة بكرامة؟ هل جُمجمة المرأة خالية من الدماغ بينما جمجمة الرجل بعشرة أدمغة؟ هل يُخلق الرجل بجناحين يؤهلانه للطيران ذاتيًا حول كوكب الأرض والكواكب المجاورة بينما المرأة من الزواحف؟ هل تم تزويد الرجُل فطريًا بجهاز إلهي يعصمه من السهو والخطأ والزلل وارتكاب الرذائل بينما حُرمت المرأة من هذه الهبة الإلهية لتتلقفها الموبقات من كل حدبٍ وصوب؟ هل القدرات العقلية للرجُل تؤهله وحدهُ للتَّلذذ بتناول الكافيار بينما السّمات العقلية للمرأة لا تؤهلها لأكثر من اجترار البرسيم؟

هذا ما يعنيه المُتشددون ضد النساء وإن غلَّفوا مزاعمهم بمزاعم "الخوف على المرأة" و"الاهتمام بحمايتها"، بينما تُخفي نواياهم التوق لنتف ريش المرأة كُليًا بهدف إضعافها ومن ثم استغلالها لمآربهم الشخصية التي لا تعرف وجه طهارةٍ أو فضيلة، إنهم لا يريدون "حماية المرأة" بل يطمعونَ بـ «تيسير وصولهم إلى المرأة» المُضطهدة حين تحتاج لُقمة العيش فلا تجدها إلا عن طريق بيع ذاتها لشياطينهم بعد أن حرموها حقها في خوض غِمار الحياة الواقعية لاكتساب خبرات حقيقية بنماذج البشر ونيل نصيبها الذي تستحقه من التعليم والتثقيف والعمل الشريف.

كامرأة يُمكنني القول أن إحدى أبرز المُشكلات التي نُعانيها نحن النساء في المُجتمعات العربية هي عدم ترك حُرية القرار بأيدينا في اختيار عمَّا إذا كُنا نرغب بإدارة حياتنا بأنفسها، أو نرغب بتركها بين يدي شخص آخر، أو نديرها مع ترك مساحات للمشاركة والتفاهم والإقناع والاقتناع مع أشخاص نُحبهم ونعتبر وجودهم مهمًا في تلك الحياة، دائمًا هُناك من يُريد التطفل وسرقة هذا النوع من حق الاختيار دون أن نُعلن عن سماحنا بذلك، ومع أن الرجُل ذو العقلية غير النمطية هو الآخر يُعاني من أزمة محاولات التسلط على حُرية خياراته من آخرين لوجود من يعتبرون أنفسهم اوصياء على من هب ودب في المجتمعات غير الواعية؛ لكن يظل التطفل على خيارات الإناث وانتهاك حقوقهن الإنسانية أشد وطأة، وتظل شراسة الهجوم على أي رأي بهذا الشأن تجرؤ امرأة على التعبير عنه أخطر مما تقوى معظم الإناث على تحمُّله، فيختزنَ المُعاناة بصمت على حُرية التعبير خشيةَ تلطيخ سُمعتهن بوصمات عارٍ كاذبة.

أخبـــار صحفيّـــة عصيّـــة علـــى النسيـــان

في مطلع حياتي المهنية، وحين استعرض تجربتي الصحفية في قسم الأخبار، أجد أن ثمّة اخبار كتبتها وحققت فيها ولكنها ظلت عالقة في ذهني وتأبى الرحيل والنسيان، وأود أن استعرض اليوم بعضاً منها لأعرج على نطاق الخبر الصحفي اليوم وامكاناته الهائلة.

عصمت الموسوي

في نهاية ديسمبر عام 1989 ذهبت للتحقيق في ملابسات غرق ثلاثة صيادين في قرية دار كليب. وصلت القرية باكراً في يوم شتوي بارد، ركنت سيارتي بالقرب من أحد المنازل وطرقت الباب الذي كان مفتوحاً. ألقيت السلام وناديت فلم أجد جواباً. خرجت إلى البيت الثاني ثم الثالث. كانت البيوت صغيرة ومتراصة وأغلب أبوابها مفتوحة أو مواربة، وكلها خالية، انشغل الرجال في المقبرة بدفن الصيادين، أما النساء والأطفال فلا أدري أين كنّ، ولكن حين عادوا إلى بيوتهم بعد ساعة أو ساعتين من الانتظار، دعوني للإفطار معهم، واحتفوا بي وتعاونوا معي وأمدّوني بكل ما لديهم من معلومات حول الواقعة وضحاياها، حيث خرج الثلاثة الذين كانوا في الثلاثين من أعمارهم من بحر المالكية في يوم عاصف وشديد الرياح فاختفوا في البحر، وقد استخدمت خفر السواحل الطائرات للبحث عنهم على مدى أيام، ويعتقد أن قاربهم ربما اصطدم بصخور كبيرة فانقلب وغرقوا جميعاً.

لاحقاً تواصل معي الأهالي وطرحوا عليّ بعض المشكلات والاقتراحات المتعلقة بقريتهم لنشرها في الصحيفة، وبودي القول إن اخباراً على هذه الشاكلة تصل إلى الصحافة في العادة من دائرة الاعلام الأمني جاهزة، أما بقية التغطية ذات الأبعاد الاخرى فهي ما يجتهد الصحفي لتحصيله والبناء عليه أو التوسع فيه.

الخبر الثاني وقع في شهر مارس من عام 1996، فقد تعرض المواطن جواد خليل لحادث سرقة معتاد. دخل السارق إلى شقة الإسكان بالسنابس في غياب العائلة والتقط صندوق الذهب وفرّ هارباً. أبلغت العائلة الشرطة التي حققت في الموضوع ولم تصل إلى معرفة السارق، لكن بعد أسبوع اتصل السارق بصاحب الشقة قائلاً: «سأعيد لك المصوغات التي سرقتها شريطة أن تمنحني شقتك بعد اخلاءها وقبل تسليمها لوزارة الإسكان»، كان من المعتاد في ذلك الوقت أن يتبادل الناس مفاتيح الشقق الإسكانية فيما بينهم إذا كانوا من أصحاب الطلبات المسجلة لدى الوزارة، وكانت شقة الإسكان وقتها مجرد سكن مؤقت لمدة يفترض ألا تتجاوز بضع سنوات، لكن الزيادة الهائلة في أعداد السكان وارتفاع قوائم طالبي الوحدات السكنية مع طول أمد الانتظار جعل الناس تتهافت على الشقق وتقيم فيها سنوات طويلة جداً.

بعد اسبوع اتصل السارق مجددا وقال: «قد تركت المصوغات الذهبية داخل كيس قماش على صندوق انابيب الغاز التابع لكم خارج العمارة»، وأردف: «أنتم اناس طيبون، وأنا كنت أراقبكم منذ فترة وطوال الوقت كان ضميري يؤنبني، لكني أتمنى أن تسلموني مفتاح شقتكم بعد تركككم لها». يومها كتبنا في الخبر "هذا أول سارق يعيد مسروقاته ولكن بشرط» ، لاحقاً وظّفت القصة في كتابة مقال حول شقة الإسكان التي أصبحت بيت العمر، وصدقت نبوءتي إذ أن المواطن المسروق ترك الشقة بعد 10 سنوات من الواقعة، وتحوّلت الشقق الى التمليك.

الخبر الثالث يتصل بالمواطن جعفر علي، وحدث في عام 1998، إذ تعرض بيته للسرقة ثلاث مرات في ظرف أسبوع واحد في منطقة سند، في أول مرتين لم يبلغ الشرطة، وفي الثالثة فعل لكن وقبل الوصول إلى مركز الشرطة تدارك شيئاً ما وقفل راجعاً إلى بيته. اتصل بالصحافة قائلاً: «أن يسرق المرء مرة أو مرتين فذلك قد يكون أمراً طبيعياً، لكن أن يسرق ثلاث مرات، فالأجدر به أن يفتش عن نفسه لا عن السارق»، الجملة ألهمتني لكتابة عنوان مثير للخبر اتبعته بمقال وسمته بعنوان «ابحث عن ذاتك المضيّعة».

وأتذكر في هذا السياق تلك الأخبار التي كان يتداولها الزملاء في صالة التحرير يومياً بعد العودة من رحلة صيد الأخبار والمواضيع، وكنا نتحدث حولها ونتفاعل معها، أو قد نضحك لغرابتها وطرافتها، حين اتابع التغطيات الخبرية اليوم أجدها ذات نسق واحد، تخلو من أي متابعة لاحقة، تبدو للقارئ بوصفها وجبة "سناك" خفيفة وغير مشبعة وناقصة ومختزلة، وكأن الصحفي يريد نشرها سريعاً والتخلص منها ونسيانها إلى الأبد، مع أن الخبر مفتوح على كل الاحتمالات والاضافات والاستنتاجات، والواقع أن تعليقات القراء العاديين على الأخبارالإلكترونية تنطوي على كثير من الذكاء والفطنة والجرأة والأسئلة المستفيضة المكملة للخبر والباعثة على نشوء بذور أخبار جديدة مستنبتة من رحم الخبر ذاته. الصحفي اليوم لا تعوزه الأخبار المبثوثة أرضاً وفضاءاً الكترونياً شاسعاً لا تحده حدود، بل يعوزه الشغف الصحفي المهم والضروري لإنتاج الخبر الشيّق الممتع المشبع المكتمل، الخبرالعصي على النسيان.

بصراحة

المجتمع المدني في البحرين .. القيود والمهام

تُعرَّف منظمات المجتمع المدني بالمنظمات التطوعية المدنية غير الحكومية وهي التي ينشط فيها الأعضاء بدون مقابل مادي، تُأَسَّس وفق تخصصاتهم المهنية والعلمية والتعاونية، ويلتقون على أهداف محددة وبرامج لتنظيم نشاطهم وعملهم.

المفكر الإيطالي غرامشي عرَّفَ المجتمع المدني بوصفه يضمُّ جميع العلاقات الاجتماعية والمنظمات التي لا تشارك في الإنتاج الاقتصادي ولا في اشغال الدولة، بمعنى منظمات مستقلة عن الدولة، وفي تعريفه للمجتمع المدني يضيف غرامشي: «المجتمع المدني يتوسط بين البنية الاقتصادية والدولة بتشريعاتها وبسلطتها في الإكراه».

هل نستطيع القول بأن المجتمع المدني المنظَّم في البحرين بدأ في بدايات عشرينيات القرن الماضي، عندما تأسَّس عام 1913 نادي اقبال أوال في المنامة، والنادي الأدبي عام 1920 في المحرق، حيث ترافق ذلك مع بدء التعليم الرسمي بتأسيس مدرسة الهداية الخليفية للبنين في عام 1919، وخديجة الكبرى للبنات في المحرق عام 1928، واكتشاف البترول في عام 1928، وفي عام 1932 بدأ إنتاج النفط من حقل جبل الدخان، بداية تشكيل الطبقة العاملة في البلاد، وتبلور الوعي العمالي وبروز مفهوم الصراع الطبقي، ففي عام 1938 بدأ أول إضراب عمالي مطالباً بتشكيل النقابات العمالية في البلاد، وفي خمسينيات القرن الماضي تمَّ تأسيس العديد من الصحف الوطنية وبرزت إبَّان وجود هيئة الاتحاد الوطني في عام 1954/ 1956، كما تأسَّست أول جمعية نسائية في البحرين والخليج العربي، جمعية نهضة فتاة البحرين في عام 1955، وبعد ضرب هيئة الاتحاد الوطني من قبل المستعمر البريطاني والرجعية، برزت التنظيمات السياسية السرية ، جبهة التحرير الوطني البحرانية التي تأسَّست في 15 فبراير من عام 1955، ولاحقاً في عام 1958 فرع حركة القوميين العرب، وحزب البعث في البحرين، كما تأسَّست الأندية الرياضة والثقافية في تلك الفترة وقبلها بسنوات بعض الأندية.

كانت هذه إرهاصات لتشكيل الوعي الوطني وتبلور أهمية تأطير العمل التطوعي المنظَّم لدى الشباب، ففي السنوات اللاحقة سوف تبرز المنظمات النسائية والطلابية والشبيبة واللجان النقابية والعمالية، وأسرة الأدباء والكتَّاب، والمسارح الوطنية والفرق الفنية الشبابية، كان ذلك في نهاية ستينيات وبداية سبعينيات القرن الماضي، وهي كلّها روافدُ أساسيةٌ للمؤسسات وهيئات المجتمع المدني.

في 25 فبراير من عام 1972 تأسَّس الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في الخارج، هذا التنظيم الطلابي الوطني الذي يعد واحداً من أهم منظمات المجتمع المدني في تلك الفترة من تاريخ البحرين الحديث واستمرَّ لسنوات طويلة حتى نهاية ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن الماضي، حيث لعب دوراً كبيراً في نشر الوعي الوطني والنقابي في صفوف الطلبة البحرينيين الدارسين في الخارج، ونتوقف عند هذه المحطة التاريخية لأنه أصبح لأعضائه بعد تخرجهم من جامعات البلدان العربية والأجنبية وعودتهم إلى الوطن دورٌ بارزٌ في تأسيس العديد من منظمات المجتمع المدني وفي تخصصات عدة، كما نشطت منظمات المجتمع المدني إبَّان فترة المجلس الوطني في أعوام 1973/ 1975، وتأسَّست النقابات العمالية وغيرها.

فاضل الحلييي

والمؤسف اليوم تُضَعُ العراقيلُ، وتُقيَّدُ أنشطةُ جمعيات ومنظمات المجتمع المدني بسبب حزمة من القوانين والقرارات المعيقة لحرية العمل التطوعي، والتي تحرم العديد من النشطاء من العمل خلال المشاركة في المجالس الإدارية . بشكل واضح قلَّ وهج منظمات المجتمع المدني ودورها الوطني والتطوعي في البلاد، وبسبب تلك الصعوبات والتحديات التي تواجهها منظمات المجتمع المدني، كقلة الإمكانيات المالية لأكثرية الجمعيات التطوعية، وعزوف الأعضاء عن المشاركة في أنشطتها وفعالياتها، لهذا توقف نشاط العديد منها، واختار بعضها تمَّ تجميد نشاطها، وأخرى تمَّ حلُّها أو حلَّت نفسها، فالقوانين والتشريعات المعيقة لحرية العمل التطوعي والمدني والنقابي، وحرمان أعضاء الجمعيات السياسية من المشاركة في مجالس إدارات الأندية الرياضية والثقافية والجمعيات الخيرية، لا تشجع الشباب على الانخراط فيها.

واقع مرير يُشكِّل خسارة كبيرة لروافد النشاط التطوعي والمدني الذي يساهم في تطوّر ورقي البلاد. والدولة لا تعطي أي اهتمام لما يحدث لمنظمات المجتمع المدني، لأنها لا تريد نشاطاً فعَّالاً لها، وأن يصبح دورها في المجتمع هامشياً وشكلياً غير مؤثر، لهذا تضع العراقيل والمتاريس أمامها، ما يلقي على عاتق المخضرمين والشباب من النشطاء في منظمات المجتمع المدني أمهمة وضع أهداف وأفكار ورؤًى جديدة للنهوض بها من جديد.

البحث عن ميزان للعدالة دولياً وإقليمياً

قاسم الحلال

قبل فوات الأوان

قبل 15 عاماً، تحديداً في شهر يوليو من العام 2008 حذّرت دراسة ميدانية لهيئة تنظيم سوق العمل من أن العمالة الوافدة إلى البحرين (غير مرضية وتؤدي إلى وقوعها في فخ المديونية المزمنة)، فما بالك بظهور ممارسات غير إنسانية من جميع النواحي من حيث عدم الإلمام بسلوك وملفات العمالة الوافدة، حيث تفتقد لمراعاة اشتراطات جلب هذه العمالة، وقد أظهرت إحدى الشركات الدولية في دراسة لصالح الهيئة حول أوضاع العمالة الأجنبية في البحرين آنذاك، أن 40٪ من العمالة الوافدة تعمل نحو 60 ساعة اسبوعياً، حيث يفوق متوسط ساعات العمل لدى دول منظمة التعاون الاقتصادي البالغة 32 ساعة، وكشفت الدراسة إن 68٪ من العمال لم يتعرفوا على أي نوع من إجراءات السلامة في مواقع العمل، وإن ما يقارب 38٪ يعملون في وظائف ليست لها علاقة بخبراتهم، كما أوضحت الدراسة طبيعة الصعوبات التي تعترض أصحاب الأعمال في عملية تشغيلهم للعمالة الوافدة.

إن موضوع العمالة الوافدة أصبح اليوم عبئاً ليس على العمالة المواطنة فحسب، بل على الحكومة التي لا تبالي لتصاعد هذه الازمة التي انعكست على كل الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والسياسية، ولم تحرك الجهات المعنية أي ساكن رغم بلوغ الخطر الدامغ ذروته، وأصبح الموضوع أكثر اثارة للجدل، كما أصبح مطروحاً في كل المجالس، وتستنكره الغالبية، واصبح الكل يبحث عن منبر ليدلي باحتجاجه، وأصبحت عامة الناس تتحدث بلغة الأرقام لإدراكها للالتواءات والمبررات المفضوحة التي لم تبلغ هذه التشنجات في تاريخ الاحتجاج السلمي (بالتي هي احسن).

قبل أقل من شهرين، تحديداً 5 أبريل 2023 حذرت هيئة تنظيم سوق العمل المواطنين والمقيمين من التعامل مع أي وكالات او مكاتب او وسطاء غير قانونيين او غير مرخص لهم من قبل الهيئة، وذلك تجنباً لأي تداعيات قانونية او اجتماعية او صحية، بيد أن هناك أسباباً تحفز العمالة على ترك العمل، وخصوصاً عند خدم المنازل، وذلك بعد تزايد الشكاوى عن العديد من السلبيات مثل الأمراض والعنف وسوء الأخلاق وغيرها.

إن ظروف استقدام العمالة الوافدة مخالفة للمعايير القانونية على المستويين المحلي والدولي، بينها عدم وضوح من حيث المعلومات، وتبيان الحقائق عن ممارسة استقدام العمالة الوافدة من ناحية الاطلاع على مسلكياتها، الأمر الذي اذى إلى الاصطدام بواقع أمني وأخلاقي، حيث تبين للمجتمع بأن استقدام العمالة بهذه الصورة ينمّ عن عدم مبالاة، حتى أن العملية أصبحت صدمة للجميع، ولا يصح السكوت عن تجاهل الجهات المعنية للموضوع وعدم اتخاذها الإجراء اللازم، كأزمة يتحتم معالجتها قبل وصولها إلى سقف أعلى من التأزم ينتظرها، ويجري حديث عن عمليات مسح ستأخذ طريقها للوقوف على هذه الازمة التي أصابت الجميع بخيبة أمل ، فعسى أن يكون الآتي خيراً قبل فوات الأوان.

حلم الشعوب

ليس حلماً أن تتخلى البشرية عن الحروب والعنصريات والطائفيات والإثنيات وحتى القوميّات، وتتوجه بصدقية ومحبة وإخلاص لتسخر كل موارد الأرض من طاقات حيوية، كالغاز والنفط والمعادن، لمواصلة التطورات الصناعية في مجالات العلم والبحوث وذلك لراحة الانسان، وهي المهمة التي يبدع فيها الإنسان الصيني والروسي والألماني والياباني وغيرهم، لكن للأسف هناك دول لا تزال يتحكم في قيادتها أفراد معدودون، تعمل بعقلية أنانية شبيهة بعقلية القرون الوسطى، تنهب وتستعبد وتستعمر الشعوب، لتستولي على طاقات وثروات الآخرين، لتتنعم وتعيش لذاتها تاركة الشعوب تعيش في قحط وشحّة لدرجة التصحر.

للأسف هذه الدول تمتلك الكثير من العلماء الذين أبدعوا في شتى المجالات، كغزو الفضاء والتطور التقني الذي وصل إلى قفزات تقنية هائلة كفيلة براحة الانسان لولا أنانيتها، وها هي اليوم أصبحت تدّمر الانسان وموارده وتقتل فيه كل نفحة تطور، وتجيّر حتى أنشطة الطبيعة للتدمير الشامل والواسع، بدلاً من استخدامها وتسخيرها لتطوير ونفع البشرية، وما جريمة جائحة كورونا (كوفيد19) إلا دليلاً ساطعاً وسافراً، حيث اتضحت معالمها أكثر بعد القاء القبض على مرتزقة (الناتو) بقيادة الولايات المتحدة الامريكية المتحصنين في طوق (ماريوبول) في أوكرانيا، رغم المسارعة في اتلاف الملفات والحواسيب، الدليل الدامغ على تصنيع الفايروسات الفتّاكة على يد الكثير من العلماء والعاملين تحت قيادة الحكومة الامريكية التي يرعاها جهاز الاستخبارات المركزية الامريكية (C.I.A).

لقد سعت الإمبريالية الأمريكية إلى تدمير الشعوب حباً في تكريس المال ونيل العظمة، لكنها بهذه الجرائم تحفر قبرها بيديها، واليوم أصبحت الدول الإمبريالية تنهب وتستغل وتتآمر بصورة سافرة، وتلعب على المكشوف لأن كل أعمالها باتت واضحة لدى الشعوب، حتى وإن ظلت أشياء لم تتضح بعد.

لقد عزّز هذا السلوك انتصارات ونقداً صريحاً لدى الكثير من دول العالم، بعد اتخاذ خطوات أمريكية باستخدام عمليات ضد البشرية، حيث تصريح علماء يعملون في مختبرات للأسلحة الكيماوية بتدريب نحل يكشف المتفجرات، وضعت النحل الذي ينتج غذاء للبشر لتحشره فعالاً للأعمال العسكرية، أنها تعبث بكل شيء وتعسكره لمصالحها، حيث استخدمت هذه العملية في حربها ضد العراقيين الذين استبسلوا في الدفاع عن وطنهم، حتى أن استطلاعاً للرأي العام في ألمانيا أظهر أن نسبة 47٪ اعتبروا الرئيس الأمريكي الأسبق بوش الذي غزا العراق أخطر رئيس يهدد العالم ويحرض على الحرب بدل السلام.

(قف)

التعددية القطبية ليست ثورة بروليتارية

فهد المضحكي

بات من الشائع أن نقول بأن نظاما عالميا متعدد الأقطاب آخذ في الظهور، نظاما سيحل محل القائم الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة، والذي يسيطر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ولم يواجه أية تحديات جادة منذ سقوط الإتحاد السوفييتي. تشير هذه الفرضية إلى انه مع أزدياد قوة دول بريكس، ومع ازدياد الأزمة الرأسمالية التي تمثل الولايات المتحدة رأس هرمها، فإن قدرة الطبقة الحاكمة الأمريكية على إملاء الشؤون العالمية ستكون مقيدة أكثر بكثير مما كانت عليه قبل عقود.

للكاتب والأكاديمي الأمريكي غريغ شوباك مقال يذكر فيه أن الأدلة على وجود عالم متعدد الأقطاب بشكل متزايد مبادرة الحزم والطريق الصينية كمثال، وهي مشروع طموح بشكل مذهل للمصالح المتبادلة يشمل معظم العالم . تستلزم التعددية القطبية أيضا من دول بريكس إنشاء بدائل متعددة الأطراف، واستخدامها للتعاون مع بعضها البعض. على سبيل المثال، عززت الصين وروسيا علاقتهما على المستوى الثنائي من خلال منظمة شنغهاي للتعاون، والتي تشمل الهند أيضا في عضويتها وتعد المؤسسة الواعدة في عالم متعدد الأقطاب.

الوجه الآخر هو التناقضات التي تواجه التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة. يشير الخبير الاقتصادي مايكل هدسون إلى أنه في الوقت الذي تواجه فيه أوروبا أزمة طاقة في أعقاب العقوبات على روسيا ، فإن "انخفاض اليورو سيقلل من الاستثمارات الأمريكية في أوروبا وقيمة الدولار لأية أرباح قد تستمر هذه الاستثمارات في تحقيقها مع انكماش الاقتصاد الأوروبي. لذلك ستنخفض الأرباح المعلنة للشركات متعددة الجنسيات في الولايات المتحدة".

إذا قررت الدول الأوروبية الابتعاد عن الولايات المتحدة والبحث عن شركاء في مكان آخر "منظمة شنغهاي للتعاون كمثال"، فإن ذلك سيسرع من الميل نحو التعددية القطبية. إذا أصبح النظام الدولي متعدد الأقطاب، فسيتم تشكيل طابع هذا النظام بشكل عميق من خلال استقطابات القوة المستمرة داخل بلدان بريكس في السنوات القادمة ومواقفها متعددة الأوجه على المسرح العالمي. على سبيل المثال، للبرازيل بقيادة لولا آثار دولية مختلفة عن البرازيل بقيادة بولسونارو. في الوقت نفسه تتمتع الهند بنظام تعددي، لكن ميزان القوى الاجتماعية في البلاد في حالة تغيّر مستمر كما أثبتت احتجاجات المزارعين الضخمة في العام الماضي، ناهيك عن نضالات القوى اليسارية.

طالما بقيت السياسات الداخلية لدول البريكس غير محددة، فإن ما تعنيه التعددية في الممارسة يبقى محل خلاف. بالرغم من ذلك، انه سيكون من الخطأ المبالغة في تقدير المدى الذي يكون فيه العالم متعدد الأقطاب أو في اليقين مما يعنيه وصول هذه اللحظة. لا يزال الدولار الأمريكي هو العملة الاحتياطية المهيمنة على العالم. وتجدر الإشارة إلى أن الطبقة الحاكمة الأمريكية لا تتخلى عن السيطرة سلمياً: لنشاهد على سبيل المثال: الخنق القاسي للسكان المدنيين الأفغان الذي فرضته الولايات المتحدة من خلال العقوبات بعد طرد قواتها العسكرية من البلاد. يحدث الشيء نفسه للشعوب التي تعيش في الدول – التي على الرغم من الصراعات الداخلية فيها ووجود نخب تابعة الأمريكيين – تستمر في الصمود ضد إملاءات الولايات المتحدة. إن أردنا إعطاء قائمة جزئية فقط ، يواجه الكوبيون والسوريون والفنزوليون والايرانيون عقوبات قاتلة، وأشكالا أخرى من العدوان الإمبريالي. في حين أن مدى وطبيعة التعددية القطبية يظل غير مؤكد، إلا أن المؤكد هو أن النظام القديم لن يسقط دون أن يريق حكامه الكثير من الدماء في محاولة للتشبث بالسلطة.

بإختصار، التعددية القطبية ليست ثورة بروليتارية، لكن سيكون من الاختزالي أيضا افتراض أن مثل هذا التحول العالمي يعني بالضرورة إستبدال إمبريالية بأخرى. نشرت الموجات المتتالية من تطور المنافسين – بركس والاقتصادات الناشئة الأخرى – قوة إنتاجية على نطاق واسع مما كان في أي زمن، وبحلول القرن الحادي والعشرين باتت هيمنة القطب الواحد مستحلية بسبب هذا الاتساع في القوة الإنتاجية. لكن لم تنته الإمبريالية بعد: فكلما زادت الدول قوة إنتاجية، ستحاول نخب العالم أحادي القطب أن تخلق المزيد من التنافس الذي يصب في صالحها. سيحاولون أن يجعلوا المتنافسين أكثر عددا ولكن أقل قوة. لكن من خلال نشر القوة الإنتاجية على نطاق واسع بين الأقطاب الأكثر عددا والاقل قوة، سيكون لدى الكثير من الناس في جميع أنحاء العالم – لاسيما في دول الجنوب العالمي – القدرة على التطور بشكل مستقل عن الامتيازات الأمريكية وتأثيرها. إن أردنا الحديث بشكل مباشر، فمن الشروط الضرورية لتحقيق الاشتراكية: تفكيك النظام العالمي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة.

لطالما سعت واشنطن لسحق كل منظمة أشتراكية وصلت إلى السلطة أو اقتربت منها. وعندما لم تتمكن هذه من تحقيق نجاحات كاملة، عمدت إلى خلق أضرار جسيمة، وقيدت الخيارات المتاحة للحركة الاشتراكية الصاعدة.

من غير المرجح أن يؤدي إستبدال النظام الذي تقوده الولايات المتحدة بنظام يركز على القوى الرأسمالية الآخرى، إلى تعزيز الاشتراكية على نطاق عالمي. ومع ذلك، سيكون تعدد الأقطاب تطورا مرحبا به بقدر ما يمكن العمال في جميع أنحاء العالم من الحصول على مساحة أكبر لانتزاع المكاسب التي ترفع من مستويات معيشتهم وسلطتهم السياسية.

يعتمد ترسيخ مثل هذا الظرف على انتصارات الطبقة العاملة داخل وخارج لا يزال يمثل مركز الرأسمالية. تعطي مثل هذه التطورات للعمال فرصة بناء مجتمعات أكثر عدلا ضمن سياق نظام دولي أكثر عدلا. يجب أن يُنظر إلى التعددية القطبية على أنها فرصة محتملة يعتمد تحقيقها على تنظيم العمال من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب.

نُذر الحرب العالمية الثالثة

العالم يقترب من حرب القوى العظمى أكثر من أي وقت مضى منذ نهاية الحرب الباردة. ومنذ بدء الهجوم الروسي على أوكرانيا وتطوراته والمخاوف كبيرة من اندلاع حرب عالمية ثالثة، ومن غير المؤكد اكتفاء الحكومات الغربية والولايات المتحدة الأمريكية تحديدًا بالعقوبات الاقتصادية ضد موسكو.

جلال إبراهيم

لذلك لا تزال هناك مخاوف من أن يتحول الصراع بين روسيا وأوكرانيا إلى صراع أوسع. وأن الاحتمالات المزعجة واردة بقوة، في ظل استمرار أمد الصراع على أراضي أوكرانيا المدعومة عسكريًا من أمريكا والغرب الأوروبي.

لم تنجح الدعوات المتكررة من أوكرانيا لحلفاءها الغربيين في تزويدها بطائرات مقاتلة وفرض منطقة حظر طيران على روسيا، واكتفوا بتوفير الأسلحة والدعم اللوجستي. ويشير الخبراء العسكريين بأن الاستجابة لمطالب أوكرانيا سيجر حلف الناتو إلى حرب عالمية جديدة مؤكدة.

يقول الصحفي ديفيد هيرزينهورن: "يزود الحلفاء الغربيون لأوكرانيا بالأسلحة والمواد الأخرى، لكنهم استبعدوا فكرة فرض منطقة حظر طيران. تقدم دول الاتحاد الأوروبي أنظمة دفاع جوي، لكنها رفضت طلب أوكرانيا للحصول على طائرات مقاتلة. لم تعرض أي دولة إرسال قوات. ومع ذلك، يقر كبار المسؤولين الحكوميين الغربيين والدبلوماسيين والمحللين العسكريين بأن هناك خطرًا جسيمًا قد يجر الولايات المتحدة وحلفاء الناتو إلى الحرب، نتيجة لبعض السيناريوهات المخيفة».

الموقع الجغرافي لأوكرانيا ومجاورتها للعديد من الدول الأوروبية الشرقية العضوة في حلف الناتو والمحاذيه بدورها لروسيا، تجعل الأمور أكثر تعقيدًا، وتزيد من احتمالية توسع رقعة الصراع. يطرح أحد المحللين العسكريين السؤال التالي: ماذا لو سقط صاروخ روسي بالخطأ أراضي بولندا، ألا يتسبب ذلك بسهولة في اندلاع الحرب المدمرة؟

ضبط النفس الذي تنتهجه روسيا في حربها على أوكرانيا-بعيدًا عن افتراءات الإعلام الغربي-مهدد بالإنفلات في أي وقت، في ظل اشتداد المعارك على العديد من الجبهات المشتعلة في الأراضي الأوكرانية. وعملية الاستفتاء الأخيرة التي أسفرت عن ضم أربع مدن أوكرانية كبيرة لروسيا تعقد الصراع أكثر في أوروبا وتجعل من فرص اتساعه مسألة وقت ليس أكثر.

إن حدث واندلعت حرب أوروبية واسعة، أو حرب عالمية ثالثة، على الأوروبيين والأمريكيين أن لا يضعون اللوم على روسيا ورئيسها بوتين، بل عليهم أن يحاسبوا أنفسهم أولاً، وذلك لعدم دفعهم باتجاه حل الأزمة وإيقاف الحرب، ولسياساتهم المستفزة والمجحفة بحق الروس، وسعيهم الحثيث في لف حبل المشنقة على عنق روسيا، وذلك بإصرارهم الواضح في ضم أقرب دول شرق أوروبا إلى روسيا لحلف الناتو.

إيمان الشيخ

عودة العراق إلى المحيط العربي

ما زال العراق يحاول أن يثبت للعالم بأنه قادرٌ على استعادة دوره الاقليمي في ظل المتغيرات على الساحتين الاقليمية والعربية، إذ أنه قام بـأدوار الوساطة في الفترة الماضية لخفض التوترات في المنطقة، لاسيما في عام 2021 حينما استضافت العاصمة العراقية بغداد مباحثات مباشرة بين المملكة العربية السعودية وإيران الى جانب محاولات عراقية سابقة لاستعادة العلاقات الإيرانية المصرية.

وشهدنا مؤخرا زيارة الشيخ تميم بن حمد أمير دولة قطر وهي الزيارة التي تمثل اهمية كبيرة بالنسبة للعراق في سبيل إعادة بناء علاقاتها الدولية من جهة وتحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى، وفتح مزيد من فرص التعاون الاقتصادي والاستثماري بين البلدين خصوصا في مجالي النفط والغاز.

إضافة إلى ذلك، أعلن رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني في مايو الماضي ضمن مؤتمر حضره مسؤولون من دول الجوار عن إقامة مشروع طريق التنمية وهو مشروع سكك حديد يربط دول الخليج بتركيا واوروبا من خلال العراق، وهذه الخطوة ستقوم بتعزيز موقع العراق على خارطة الاقتصاد العالمي.

نعتقد مما سبق ذكره بـأن هناك عـدداً من الخطط والاستراتيجيات ذات الأهمية لصناعة دولة العراق ووضع كيانها الفعال على خارطة الوطن العربي، وما هذه الهوامش التي تسعى العراق لها بين الحين والآخر إلا حالة بناء وبعث القوة في البيت الداخلي، بما يعود بالنفع على استمرار العراق وتفعيل دوره في المنطقة، خاصة وأن الاوضاع الداخلية فيه آخذة في الاستقرار، وما يمنحه لها ذلك من مزيد من القوة في القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، والتوجه إعادة بناء المدن والقرى التي أصابها الدمار بعد الحرب ضد الارهاب.

ومن الطبيعي أن يساهم التعاون بين العراق ودول الجوار في استقرار المنطقة والانتهاء من حالة التطاحن العربي العربي، ومنهجية العداء بين الدول.

الرحيل عن مدن الرينبو

المتتبع لأخبار اللاجئين من الدول النامية إلى أوروبا الغربية وأمريكا (باستثناء روسيا وهنغاريا) يكتشف مدى خطورة الخطة المعدة لطردهم. الخطة المخجلة أخلاقياً التي تطبق حالياً لقنونة مشاعية الجنس والإباحية وتشمل منهجة إغتصاب براءة الأطفال وتنشيط المشاعية بين الشباب ونشر المثلية وإطلاق سراح الغرائز الإنسانية الحيوانية لتدمير القيم العائلية وتشريد اللاجئين منها.

إن تاريخ الهجرة الفعلية إلى هذه الدول قد بدأ بعد الحرب العالمية الأولى وزاد بعد الثانية حيث دمرت الحربان كل شئ وقضت على قرابة 80 مليون إنسان لتضطرأوروبا المتضررة مثل ألمانيا لإستيراد العمالة الأجنبية وبخاصة الآسيوية والأفريقية والتركية بينما ضايقت وطردت دول مثل بريطانيا وإيطاليا وفرنسا الأجانب المتواجدين بها من سنوات الرفاه قبل الحربين ولولا تدخل الأحزاب الليبرالية والإشتراكية لحماية هذه الجموع العاملة المهددة لطبقت قوانين فاشية عنصرية شديدة عليهم.

بنهاية الستينات وبداية السبعينات خسرت الدول الإستعمارية مثل بريطانيا وفرنسا مواقعها الإستعمارية في آسيا وإفريقيا بينما تطوّرت إقتصاديات مثل كوريا واليابان، وبعد عقد من ذلك الهند والصين وتركيا والأرجنتين فضعفت إقتصاديات الدول الإستعمارية وأغلقت الكثير من المصانع والمصالح فيها لتبدأ مؤشرات التضخم والبطالة بالإرتفاع، وتنشط بعدها الأحزاب الفاشية وينجح ممثلوها في غزو البرلمانات وتأسيس الأحزاب النازية والعنصرية من جديد لتعمل ضد الليبراليين والأجانب والاشتراكيين.

تلى ذلك وبعد أربعة عقود زيادة جموع اللاجئين التي تكاثرت طبيعياً بعد حصولها على حق المواطنة فتمتعت بالحقوق السياسية وخدمات الصحة والضمان الاجتماعي والتعليم والعمل والأمان التي تتفوق بالكثيرعلى ما تقدّمها بلدانهم لهم، فبقيت وتكاثرت لتكون جزءاً من الطبقة العاملة المحلية أو تلك المتوسطة في بلدانهم الأصلية، بوجه المقارنة، فقد كوّنت جزءاً من السكان ولكن بهويات ثقافية ودينية مختلفة عن مجتمعي ما قبل الحرب العالمية الاولى والثانية.

ومع نجاح الحركة الفاشية وتوسعها في أوروبا بعد سقوط الانظمة الإشتراكية فإن أعداد اللاجئين من أوروبا الشرقية قد تضاعفت وزد على ذلك حروب الشرق الأوسط منذ السبعينات ومن بعد ذلك نتائج خيبات الربيع العربي. إن كل هذه التجمعات البشرية القادمة من الدول النامية (إذا إعتبرنا شرق اوروبا بلدان متوسطة النمو أو نامية) قد كوّنت ضغوطاً مضاعفة على الإقتصاد والبنية التحتية لأوروبا الغربية وامريكا وكندا. وكان تكرار انقلاب قوارب اللاجئين وغرقها هو تصميم مكرر من اللاجئين على التوجه إلى أوروبا وأمريكا لجعلها أرض الميعاد مما أدى إلى تعب السلطات المحلية وكرهها للاجئين وبحثها عن حلول ناجعة لطردهم، متأثرة بإزدياد معدلات الجريمة وتكوّن عصابات الإرهابين المأجورين وإزدهار الفساد الأخلاقي والرذيلة وسوق المخدرات وزيادة أسعار العقارات وتحول الأحياء القديمة في العواصم والمدن الرئيسية إلى نقاط جذب للمجرمين ومواخير الفساد وتغرب المواطنين في بلدانهم، وشجع كل ذلك الأحزاب الفاشية والعنصرية على إلقاء اللوم على اللاجئين بالكامل وإتهامهم بالتسبب بتلك المشاكل مستغلين تراخي قوى الأحزاب الليبرالية والعمالية المحلية، وتوجه الوعي الجماهيري العام لخطابات اليمين خاصة في فرنسا وإيطاليا وهولندا والمجر وبريطانيا وبلجيكا والحزب الجمهوري في أمريكا.

لقد إلتقت المصالح الفاشية والرأسمالية في تبني برنامج يخلصهم من اللاجئين ومن تجنسوا من السكان، وبخاصة المسلمين والمسيحيين الملتزمين والهندوس، وقضت الخطة بمضايقتهم في كل مبدأ إنساني تربوي وديني يتعرض لكينونتهم وهويتهم وتراثهم وحرياتهم الإنسانية. لقد قرروا بدء الحرب مع أطفالهم أولاً لبث الرعب الأخلاقي فيهم طوعياً وبقوة القانون.. قانون سن من أجل (أوروبا متحضرة خالية من مظاهر الجهل والمعمار والثقافة الأجنبية لمستعمراتهم السابقة). لقد جمعت الاحزاب اليمينية ورموزهاعصابات المرضى النفسانين والمثليين ومن فقد الحنان الأسري ليدمروا الآخرين.

فتغيرت مناهج التعليم إلى مقررات مخجلة تدمّر العائلة واحترام الأبوين والأخوة ووسعت قوانين الحرية الفردية لتشمل التحوّل الجنسي والزواج المثلي وممارسة الجنس مع الأطفال ..لقد روجوا بين الناس أن العلمانية المستقبلية تتطلب خطوات ليبرالية لتفكيك عقد العائلة القديم والسيطرة الدينية وخلصوا إلى أن الإنسان هو مصدر المشاكل في هذه الدنيا فلجأوا إلى تفضيل عالم الحيوانية وشجعوا الارتباط به، بل بقانونية الزواج من الحيوانات وإهانة الجنس البشري والذي في إعتقادهم هو سبب التعاسة في هذه الدنيا.

لقد بدأ تنفيذ خطة قوس قزح أو الرينبو، إذ تمّ ترحيل الكثيرمن اللاجئين وتشجيع المتجنسين من السكان من الدول النامية من الذين خافوا على أعراضهم وعائلاتهم وعقائدهم الدينية والتراثية على الرحيل التطوعي والتغرب بعد بقائهم كل هذه الأجيال إنها الخطة الأكبر لترحيل الناس من أوروبا وأمريكا بعد خطط هتلر والنازين لترحيل وإبادة الناس في اوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية.

طموح الهند في العالمية

الهيمنة على العالم هي الهدف الذي يجب أن يحدده الاقتصاد الهندي لنفسه. خاطب رئيس الوزراء نارييندرا مودي الأمة بهذه الأطروحة العام الماضي، داعيًا إلى تعزيز مكانة البلاد في السوق العالمية. لسنوات عديدة حتى الآن، يُتوقع أن تكون الهند "الصين الجديدة" – مركز الإنتاج العالمي، ونيودلهي جادة في دفع بكين كشريك للشركات الغربية المهتمة بالمخاطر الجيوسياسية. عمالقة عالميون مثل آبل يفكرون بشكل متزايد في توسيع نطاق الأعمال في الدولة وفي نفس الوقت يتعلمون التكيف مع حقائقها الصعبة ، والتغلب على العديد من العقبات.

حسين الشويخ

تتجاوز البلاد جارتها الشمالية من حيث عدد السكان وتسعى جاهدة للتنافس معها لسنوات عديدة للمستثمرين الأجانب، الذين ركزوا تقليديًا على الصين لفترة طويلة. أصبحت الصين رائجة لدى الشركات الغربية في أعقاب العولمة في التسعينيات: لقد انجذبت الشركات من خلال البنية التحتية سريعة التطور في البلاد، وعلى وجه الخصوص، العمالة الرخيصة. كان التحول في الإنتاج يعني أن العمال في المصنع سيحتاجون إلى أن يتقاضوا أقل من 20 دولارًا في الساعة، كما هو الحال في الولايات المتحدة، ولكن أقل من دولار واحد. كما جذب حجم السوق الصينية رواد الأعمال مع تزايد طلب المستهلكين.

ومع ذلك، في السنوات الأخيرة، بدأت المزيد والمزيد من الشركات في التفكير في كيفية تقليل مخاطر الاعتماد على دولة واحدة. أصبحت الاستراتيجية، التي أطلق عليها اسم "الصين + 1" والتي تتضمن إنشاء إنتاج مواز في بلد آخر، ذات أهمية خاصة على خلفية التوترات الجيوسياسية المتزايدة. هناك أيضًا ضغوط من بكين الرسمية، التي تسعى جاهدة لتحقيق سيطرة أكبر على الأعمال.

حتى الآن، لا تزال الصين شريكًا اقتصاديًا رئيسيًا للولايات المتحدة وأوروبا، لكن الأطراف تسعى للحد من هذه العلاقات، مع الأخذ في الاعتبار إمكانية حدوث تمزق في المستقبل. في موازاة ذلك ، يتبادلون العقوبات بشكل متزايد. لقد أدخلت الولايات المتحدة بالفعل العديد من الإجراءات التقييدية، لا سيما في قطاع التكنولوجيا الحساس من الناحية الاستراتيجية، وتعتزم الآن الحد بشدة من استثمارات الشركات الأمريكية في الصين. الصين، بدورها، تدرس فرض حظر على تصدير مادة خام مهمة إلى الغرب – معادن أرضية نادرة ، مهمة لتحول قطاع الطاقة. الهند، على عكس الصين، تفضل إقامة علاقات في السنوات القليلة الماضية. تسعى إلى تقديم نفسها كدولة يريد الجميع أن يكونوا على وفاق معها. وقد ساعدت رئاسة نيودلهي الحالية لمجموعة العشرين على تحقيق الطموحات، وباستخدام رئاستها لمجموعة العشرين، تضع نفسها كجسر بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. تعتقد العديد من الشركات أنه نظرًا لحجمها، نظرًا لارتفاع نسبة الشباب بين سكانها، ومصداقيتها في الشؤون الدولية ، فإن الهند هي المكان الذي يجب أن يعملوا فيه.

الآن أحد الأهداف الرئيسية لنيودلهي هو تحقيق زيادة في عمليات التسليم إلى الخارج لمنتجاتها الخاصة، بما في ذلك تلك المنتجة في المصانع المحلية للشركات الأجنبية، بمساعدة الاتفاقيات الجديدة. تم تقديم سياسة التجارة الدولية الجديدة في نهاية مارس، وهي تدعو إلى زيادة كبيرة في الصادرات ، تصل إلى 2 تريليون دولار بحلول عام 2030. تبدو المهمة طموحة: بالمقارنة مع المقياس الحالي، فإننا نتحدث عن نمو مرتين ونصف. أنهت الدولة العام المالي الماضي، الذي انتهى في 31 مارس، بمؤشر بنحو 760 تريليون دولار. 2 تريليون دولار يجب أن تكون صادرات الهند بحلول عام 2030 حسب خطة السلطات يعتزمون دعم نمو الصادرات بمساعدة خطط الحوافز للصناعات الرئيسية: في هذه السنة المالية، تم تخصيص حوالي مليار دولار لهذا الغرض في الميزانية. بالتوازي مع ذلك، فإن نيودلهي مشغولة أيضًا بمشاريع البنية التحتية واسعة النطاق. تزايد الإنفاق عليها بشكل مطرد في السنوات الأخيرة، ويمكن تخصيص أموال الدولة، من بين أمور أخرى، على حساب الإنفاق على الاحتياجات الاجتماعية (تم اتخاذ مثل هذا القرار، على سبيل المثال، في العام الماضي، على الرغم من اقتراب موعد الانتخابات). بالنسبة للسنة المالية الحالية، تم التخطيط للزيادة الثالثة على التوالي في استثمارات الموازنة في القطاع – بنسبة 33 في المائة دفعة واحدة، حتى 120 مليار دولار، والتي ستصل إلى 20 في المائة من جميع نفقات الميزانية.

ومع ذلك، فإن التمويل وحده لا يحل مشاكل البنية التحتية، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أوجه القصور في النظام البيروقراطي في الهند. تأخر العمل في العديد من المشاريع، وغالبًا ما يتم تجاوز الميزانية الأصلية، وبالكاد يتم قطع الطرق الممهدة مرة أخرى، ووضع أنابيب الغاز أو كابلات الهاتف.

يقع إنفاق ميزانية الهند على مشاريع البنية التحتية وعلى أمل تصحيح الوضع، أطلقت السلطات في عام 2021 مشروعًا ضخمًا باسم "جاتي شاكتي"، تقدر قيمته بنحو 1.2 تريليون دولار. هذه منصة رقمية ، يمكن ترجمة اسمها من الهندية إلى «Speed Force»: يجب أن تنسق عمل العديد من الإدارات المسؤولة عن البنية التحتية بمختلف أنواعها، وتجمع بين البيانات المتباينة عنها. الفكرة هي تسهيل الأمر على المستثمرين لتخطيط الإنتاج، وفي نفس الوقت الحصول على التصاريح اللازمة. تدعو نيودلهي إلى جذب الشركات الدولية إلى البلاد كهدف رئيسي للمشروع: ويردع العديد من المستثمرين بسبب التخلف العام في البنية التحتية.

آبل وبوينج بدأت جهود نيودلهي تؤتي ثمارها تدريجياً. الصادرات، التي ظلت راكدة حتى عام 2020، تظهر الآن نمواً، وبشكل متزايد على حساب قطاع التكنولوجيا والصناعات الكيماوية

والصيدلانية. أصبح نطاق المنتجات المصدرة من الهند في العامين الماضيين أوسع مما كان عليه خلال السنوات الخمس الماضية، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى السلع عالية القيمة.

نمت أهمية الدولة في هيكل الإمدادات العالمية من الأدوية وقطع غيار السيارات والهواتف المحمولة. في عام 2016، استحوذت الهند على أقل من 10 في المائة من الإنتاج العالمي للهواتف الذكية، ومن المتوقع أن يصل هذا العام إلى 20 عامًا تقريبًا، وتحتل الجمهورية المرتبة الثانية في العالم في إنتاج مثل هذه المنتجات، لكنها لا تزال أدنى من الشركة الرائدة. – الصين بحصة فعلية تبلغ 63 في المائة (ناقص 11 نقطة مئوية عن مستوى 2016).

منذ عام 2017، بدأت شركة Apple في إنتاج الهواتف الذكية في الهند، وكان حجمها ينمو باستمرار. بالنسبة للسنة المالية المنتهية في 31 مارس، جمعت الشركة أكثر من 7 مليارات دولار من أجهزة iPhone في البلاد، أي ثلاثة أضعاف العام السابق. الآن، عملاق التكنولوجيا، الذي يأمل في تقليص علاقاته مع الصين، يصنع 7 في المائة من هواتفه في الهند، بانخفاض عن نسبة مئوية فقط في عام 2021.

لا يرجع هذا النمو إلى التوتر المتزايد بين واشنطن وبكين فحسب، بل يرجع أيضًا إلى المشكلات الأخرى التي واجهتها الصين العام الماضي وسط عمليات الإغلاق الشديدة المستمرة لفيروس كورونا. لذلك، في نوفمبر، أضرب 20000 موظف في مصنع شريك لشركة Apple في مدينة Zhengzhou ، غير راضين عن تطبيق الحجر الصحي وعدم وجود المكافآت الموعودة.

سيكون الإنتاج العالمي للهواتف الذكية في عام 2023 في الهند بحلول عام 2025، يمكن أن تنمو نسبة أجهزة iPhone المنتجة في الهند إلى 25 بالمائة ، وفقًا للسلطات، على الرغم من أن الشركة لا تعلق رسميًا عليها. يقول العملاق الأمريكي إنه يعتزم ليس فقط زيادة حجم تجميع الهاتف في البلاد، ولكن أيضًا إنتاج المكونات. في منتصف أبريل، تم افتتاح أول متجر فعلي للشركة في الهند في مومباي بمشاركة الرئيس التنفيذي لشركة Apple Tim Cook – في السابق، كانت المنتجات التي كانت باهظة الثمن بالنسبة للغالبية العظمى من المواطنين المحليين تُباع عبر الإنترنت أو من خلال الموزعين.

تعمل Samsung أيضًا على تطوير الإنتاج في الجمهورية: في عام 2018 ، افتتحت الشركة أحد أكبر مصانع الهواتف الذكية في العالم في ولاية أوتار براديش، وبدأت هذا العام في إنتاج خط Galaxy S23 الرائد الجديد هناك. بالإضافة إلى ذلك، يعمل مركز البحث والتطوير التابع لشركة Samsung في الهند ويعمل به 10000 موظف، ويعمل في المؤسسة إجمالي 70000 شخص.

كما تمتلك شركات عالمية أخرى مثل جنرال إلكتريك وسيمنز وبوينغ مصانع. هذا الأخير، في مشروعه المشترك مع شركة Tata Advanced Systems الهندية، ينتج مكونات لطائرات هليكوبتر Apache، ومؤخرًا طائراتBoeing 737، مع عدة مئات من الموردين المحليين، تشتري الشركة ما قيمته مليار دولار من المنتجات سنويًا من الهند، في حين أن منافستها Airbus تبلغ 700 مليون دولار. في الوقت نفسه، ستطلق الشركة الأوروبية، جنبًا إلى جنب أيضًا مع تاتا، إنتاج طائرة النقل العسكرية C295 في البلاد هذا العام.

بدأت السلطات الهندية في إقناع كلا العملاقين الغربيين بالحاجة إلى بناء مصانع لتجميع السفن المدنية في الجمهورية. الطلب عليها قوي محليًا: اشترت شركة طيران الهند 470 طائرة من بوينج وإيرباص في فبراير، وتريد شركة طيران أخرى، IndiGo ، وهي الأكبر في السوق، شراء 500 طائرة أخرى. "هناك سوق، وهناك أحجام، وهناك مواهب هندسية. لذلك هناك حاجة للمصداقية. قال وزير الطيران المدني Jyotiradithya Sindhia في آذار (مارس) الماضي، "لقد حان الوقت، حان الوقت للشركات لاستكشاف إمكانية الحصول على موطئ قدم في الهند"، مجادلة بشأن الحاجة إلى فتح مصانع كبيرة لإيرباص وبوينغ.

المشاكل في الاقتصاد الهندي كثيرة على أي حال: المستويات العالية من عدم المساواة والفقر، والصعوبات مع الموظفين المؤهلين والصعوبات المستمرة في البنية التحتية يمكن أن تصبح عقبة أمام المزيد من النمو. لا تزال معدلات البطالة مرتفعة نسبيًا، لا سيما بين الشباب، وهم كثيرون جدًا في البلاد: 65٪ من الهنود تقل أعمارهم عن 35 عامًا. لا يتم إنشاء الوظائف بالسرعة الكافية، ويصعب على الشباب الاندماج في المجتمع في مثل هذه الظروف، وهناك تهديدات بعدم الاستقرار الاجتماعي – يمكن أن تتحول الميزة الديموغرافية إلى عامل خطر.

يعتقد منتقدو فكرة "القرن الهندي" القادم في الاقتصاد العالمي أن الدولة لن تكون قادرة على تجاوز كل العقبات. إنهم يسمون سيناريو التطور السريع للبلاد بالوهم الذي تروج له السلطات. ومع ذلك، يتفق العديد من المحللين في الغرب مع التقييمات المتفائلة ، معتقدين، على سبيل المثال، أنه بحلول عام 2027 ، ستتفوق الجمهورية على ألمانيا واليابان وتصبح ثالث اقتصاد على هذا الكوكب. من المحتمل ألا تتحقق التوقعات السلبية الحادة والإيجابية للغاية، لكن الهند ستحاول بوضوح الإستفادة من سياسة الشراكة في عصر المعارك الجيوسياسية.

دور السوق في تقويم المشاريع الزراعية

تعتبر المشاريع الزراعية صمام الأمان للمزارعين الصغار الراغبين في زيادة الإنتاج بتطوير الأنظمة الزراعية الحديثة بمساعدات الإئتمان الزراعي من البنوك الزراعية الوطنية أو حتى من المنظمات الزراعية بعمل دراسات قبل المشروع وبعد التطوير وحساب العائد المالي من خلال التحليل المالي والعائد الاقتصادي على المجتمع، حيث يعتبر القطاع الزراعي قطاعاً انتاجياً هاماً في الاقتصاد الوطني، قطاعاً منتجاً للخيرات المادية حيث تقوم علية كثير من الصناعات الغذائية، أما حاليا كثير من الدول الصناعية تسعى لتحويل غذاء الإنسان مع زيادة الطلب على الغذاء وزيادة المجاعة تحويله إلى صناعة الطاقة الحيوية بهذا العمل تنافس الصناعات النفطية الحفروي (الصخري) العالمي ومشتقاته.

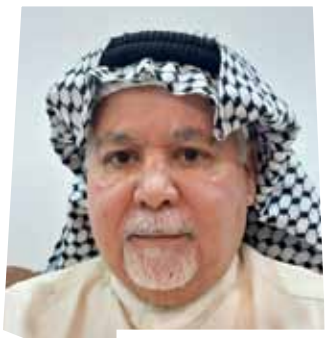

غازي العلوي

تمعنّا في دراسات السياسات الزراعية في عقد الثمانينات للبحرين الصادر من المنظمة العربية للتنمية الزراعية التابعة لجامعة الدول العربية في ديسمبر (كانون أول) 1994 حول سياسة الأمن الغذائي، حيث تتناول تطوير السياسات التي حدثت فيها تغيرات جدرية على مجمل النشاط الاقتصادي في منطقة الخليج والمناطق العربية، انعكس على أداء القطاعات الزراعية بصفة خاصة ووزارة التجارة والزراعة في تلك الفترة الزمنية، إذ وضعت البحرين مهمة تطوير القطاع الزراعي في خطة خمسية 1981 الى 1986 (اغسطس 1980). وغرض هذه الخطة حل مشكلة الوضع الزراعي، وتغيير الخارطة الزراعية نحو الأفضل لتحقيق المنافع الصحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بغرض دفع عجلة التنمية نحو الأمام باستقلال الجز المعطل بالاستثمارات في هذا القطاع بضخ الأموال الحكومية والخاصة، ومع ظهور مجلس التعاون الخليجي وظهور اتحاد دول المغرب العربي، صار التغيير والتحوّل من سياسات التخطيط المركزي إلى سياسات الاحتكام إلى قوى السوق في تسير الاقتصاد ونتج عن سياسة الاحتكام للسوق أثر سلبي على السياسات الزراعية ومن أهمها سياسة الأمن الغذائي والساسات التجارية الخارجية للسلع والمنتجات الزراعية.

لقد تركزت خطط التنمية الاقتصادية على تنوّع الاقتصاد الوطني وذلك من خلال دعم القطاعات المختلفة وأهمها رفع الانتاجية من المشاريع المنتجة في مجال الزراعة في دول العالم الثالث رغم محدودية الموارد الطبيعية، بل برامج الدول المصدرة للمنتجات الزراعية عقدت في التسعينات موتمر منظمة الاغذية والزراعة في روما عاصمة إيطاليا، وأقرّ الموتمر بحد دعم مستلزمات الانتاج وتقليل الإعانات الزراعية للمنتجين الزراعيين في دول اوروبا حسب شروط وفترة زمنية، حتى ياتي دور الدول النامية، مع وضع تصوّر تطبيق التعرفة الجمركية وهذا يحتاج لموضوع بحث اخر للنظر والمناقشة.

مع بداية عام 1995 حصل تغيّر في أسعار منتجات حبوب رئيسية غذائية للبشر وعلفية لحيوانات المزرعة، بعض الدول المنتجة والمصدرة للغذاء قللت من تصدير منتجاتها من الحبوب، بل تحوّل الغذاء من بعض المحاصيل الرئيسية الضرورية للبشر الى منتجات صناعة الطاقة، متدرعة و مبرر بالاستعاضة عن الذهب الاسود (النفط) تشغيل السيارات وانبعاث غاز الكربون الى طاقة نباتية أمنة من ظهور الغازات المولدة لتلوث البيئة وهكذا تقنع العالم الفقير من دول اسيا وافريقية ذات المجاعة المليونية بفكرة استخدام الوسائل البديلة للوقود الحفروي باستخدمه وقود للسيارات والمكائن اخرى، اتجهة هذه الدول في انتاج الوقود الحيوي من النباتات بانتاج الإيثانول أو (بيوغاز Biogas) متدرعة بان الطاقة هي المحرك الرئيسي لاقتصاد جميع العالم خصوصا بعد العملية الروسية في أوكرنيا ومقاطعة البترول والغاز الروسي وهذا ليس حلاً لأزمة الوقود في دول اوروبا واستولت على القمح الأوكراني بغرض زيادة تصنيع الوقود الحيوي.

تسعى جميع دول العالم لتأمين جميع مصادر الطاقة للحفاظ على مستوى معدلات نمو مرتفعة من الطاقة وتشير الدراسات إلى أن انتاج النفط سوف يصل للقمة خلال سنوات قليلة للتخلص من أنظمة الطاقة الحالية لانها تسبب مشاكل عديدة للبيئة مما يترتب علية من احتباس حراري يسبب مشاكل البيئة الصحية.

الوقود الحيوي يعتمد على غذاء البشر، ومنها عالمنا الصغير النامي الفقيرالضعيف، حيث ينتج من المنتجات الزراعية التي تحتوي على النشا بما فيها الحبوب والبقول والنباتات الدرنية المنتجة في دول اوروبا بكميات كبيرة أو من النباتات المنتجة في دول افريقية منها السودان ودول امريكا اللاتينية البرازيل وهذه الدول تنتج السكريات من قصب السكر ومن دول اوربا الشرقية منتجة للبنجر السكري .

هل الكل عنده علم أن انتاج الوقود الحيوي من النباتات يكون له انعكاسات سلبية على الدول المستوردة لهذه المنتجات من القمح (خبز البشر) والذرة (علف الحيوانات) وانعكاسات على امدادات وعرض الغذاء في العالم بصفة عامة.

إنتاج الوقود الحيوي يزداد عالمياً ولم يتوقف للوقت الحاضر.

تحليل السياسات الخاصة لأهم الدول المنتجة للوقود الحيوي وانعكاساتها هلى طلب الغذاء في الدول النامية .

الأسعار من السلع الزراعية وربطها بالمستقبل حيث تعتمد الدراسة على توضيح أثر زيادة انتاج الوقود الحيوي على الأسعار العالمية للسلع الغذائية.

تقنية ومصادر إنتاج الوقود الحيوي

الوقود الحيوي يعرف بيو فيول Bio Fuel ذلك المنتج الذي يتم استخلاصة بطرق مختلفة من مصادر حيوية ينتج بطرق مختلفة من مصادر نباتية أو حيوانية

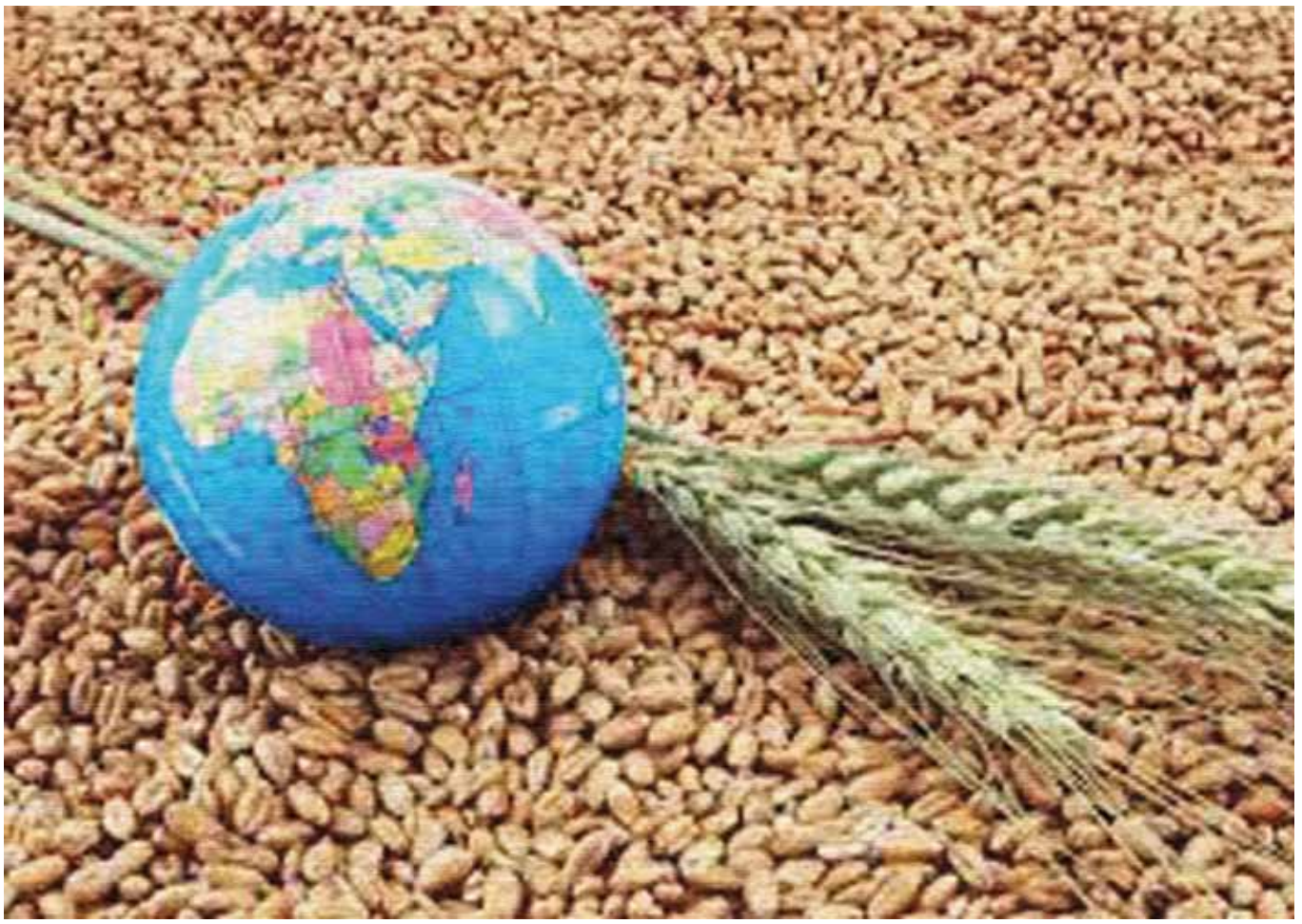

باستخدام تقنية انتاج الكحول الاثيلي (الايثانول) الذي يستخدم في العديد من الاغراض الطبية والصيدلانية واخيرا يخلط بالجازولين يستعمل وقود للمركبات، وفي عام 1990 تم انتاجه من مصادر نباتية (الايثانول Ethanol والديزل الحيوي Biodiesel).

يمكن انتاج الوقود الحيوي من أي مصدر نباتي من الكتلة الحيوية والأخشاب ومن مصادر الانتاج النباتية الذرة، القمح، قصب السكر، البنجر السكري، العسل الاسود (المولاس)، الصويا (لحم نباتي)، زيت النخيل، زيت جوز الهند (كحوف النارجيل)، زيت اللفت، الرز، ومن المخلفات النباتية والمخلفات الحيوانية، كلها مصادر زراعية .

تحضير الإيثانول وهو كحول يكون بدرجة نقاوة مختلفة تختلف وفقا لنوع الاستخدام عند اخذ سكر النشا وتحليله (ينتج سائل) يخمر السائل ويقطر نحصل على الايثانول (كحول سريع الاشتعال) هو بنزين يستخدم وقود للسيارات أو يخلط مع الجازولين يسمى الجازوهول .

الديزل الحيوي ينتج من الزيوت النباتية أهم مصادرة زيت فول الصويا، زيت النخيل، زيت جوز الهند، زيت بذور اللفت، (جميعها تصنع من غذاء الانسان والحيوانات) حيث تكسر جزيئات الزيت كيميائيا وتتحول لكحول اثيلي (ايثانول) وكحول مثيلي (ميثانول) مع وجود محفز (هيدروكسيد الصوديوم أو البوتاسيوم) نحصل على الجلسرين + استيرات الأثيل وهي أقل انبعاث للاحتباس الحراري.

للمزيد من المعلومات حول تطوّر الانتاج العالمي من الايثانول والديزل الحيوي اطلع على مصادر أكثر من الدول المستخدمة لمحاصيل الغذاء في صناعة الوقود الحيوي منها الولايات المتحدة الامريكية ، البرازيل، الصين، الهند، فرنسا، المانيا، حيث النتيجة النهائية ارتفاع أسعار الغذائية المستخدمة في صنع الوقود الحيوي .

القارىء غير المتخصص يطرح بعض الأسئلة، والمتخصصون يعطون الإجابة وحلول تحت السياسة الزراعية (الأمن الغذائي) كالتالي: الهكتارالواحد ينتج من حبوب القمح الصلب أو القمح الناعم لصناعات دقيق الخبز أو دقيق المعكرونة (طحين رقم 1 أو طحين رقم 2) حسب البلد الزراعي ويحول الى دقيق وطن الدقيق بعد التعبئة في أكياس وزن الكيس 50 كيلو جرام من الدقيق يباع ويصدر للدول المستوردة للغذاء يكفي الطن الوحد من الدقيق لصناعة عدد كبير من الارغفة لحل ازمة الغذاء العالمي، حيث تعتبر الولايات المتحدة من أكبر الدول المنتجة من حبوب القمح غذاء البشر وحبوب الذرة علف الحيوان والدواجن حيث لديها اصناف عالية الانتاجية من حنطة المكسيباك (قمح) ومياه الأنهار في بعض الولايات ولكن تتبع سياسة عدم نزول الأسعار إما ترمي في البحر أو تحرقه وتعوّض المزارعين الثمن، لكن حالياً يحول الى وقود حيوي حيث يعطي الهكتار من الذرة الصفراء الامريكية حوالي 354 جالون من الايثانول ،والبرازيل تنتج قصب السكر لانتاج اليثانول حيث ينتج الهكتار من قصب السكر 662 جالون من الايثانول، الصين هكتار الذرة الصفراء ينتج 345جالون من الايثانول، الهند قصب السكر الهكتار ينتج 345 جالون ايثانول، فرنساهكتار بنجر السكر ينتج 714 جالون ايثانول، وفي بريطانيا كذلك 714، بينما فرنسا واسبانيا وألمانيا- فإن هكتار القمح يعطي 477 جالون ايثانول، وفي هذا البرهان على أنه يزداد انتاج الايثانول على حساب غذاء شعوب دول المجاعة افريقيا وأسيا.

أثر زيادة إنتاج الوقود الحيوي على الأسعار العالمية للسلع الغذائية

الملاحظ بشكل عام أن ارتفاع أسعار السلع الغذائية المستخدمة في إنتاج الوقود الحيوي كلها سلع منتجات محاصيل رئيسية تذخل في غذاء الإنسان، مثل القمح لصناعة الخبز والمعكرونة والذرة علف لطيور الدواجن والشعير علف للحيوانات ،البنجر السكري وقصب السكر لصناعة السكر الداخل في صناعة الحلويات فالمتغير في الإنتاج السنوي للوقود الحيوي (الإيثانول) متغير مؤثر على الأسعار وحياة الناس، كذلك المستخدم السنوي لإنتاج الديزل الحيوي متغير في تربية الحيوان كذلك تغيّر كميات بذور اللفت وفول الصويا يحدث متغيراً في أسعار اللحوم والدواجن. جميع التغيرات مرتبطة مباشرة بأسعار المحاصيل المذكورة، أى زيادة الانتاج العالمي من الايثانول بمقار 10 ٪ يترتب علية زيادة أسعار القمح العالمي بمقار 2،6٪ وزيادة أسعار الذرة بمقار 4،4٪ وزيادة أسعار الشعير بنسبة 2٪ وزيادة اسعار السكر بنسبة 1،2 ٪ وأسعار اللحوم حوالي 2،4٪ وأسعار الدواجن 1،1٪ وهذا ينطبق على زيادة الإنتاج العالمي من الديزل الحيوي بمقار 10٪ يترتب علية زيادة أسعار بذور اللفت 0،4٪ وبذور فول الصويا 2،4٪ .

في الختام نقول إن العالم يعاني من نقص الغذاء والمياه حيث لا يستطيع أن يحقق الأمن الغذائي والأمن التغذوي ويتجه إلى زيادة المنتج من الوقود الحيوي رغم معرفة الدول المنتجة انهم لايستطيعون تأمين أكثر من 10 ـ 15 ٪ من احتياجهم للطاقة البديلة عن الوقود المستخرج من دول الاوبك وابك بلس حتى في الأعوام القادمة لغاية 2030.

نحن نعيش في عالم الصراع الطبقي بين الرأسمالية غير المبالية بحياة الشعوب في المحافظة على المياه في تفجير السدود وهدر المياه الضروري للزراعة وتأمين الغذاء والقوى المقاومة من اجل البقاء من الشعوب المضطهدة وهو صراع دموي ينتهي بالقضاء على أحد الطرفين .

القهوة والمقاهي الشعبية

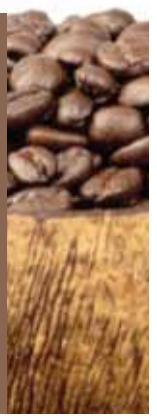

تباينت المصادر والمراجع في الاتفاق على المكان الأول أو الرئيس للقهوة، فهل كانت بيئتها الأولى اليمن، أو أثيوبيا، ولكن الذي كان يتناقل بين الناس عمومًا أن رجل الأغنام هو أول من اكتشف حبوب القهوة، حينما رأى أغنامه دائمة الحركة والاستيقاظ لفترة طويلة، وبمعرفته هذه التي أوصلها إلى رجل الدين في حيه، وما قام به هذا الرجل من طحن هذه الحبوب ووضعها في ماء مغلي، حتى بدأت تنتشر تدريجيًا من مكان لآخر بدءًا من المعابد وبين رجالها حتى وصلت إلى عامة الناس، ولكن كما جاء في بعض المصادر بأن القهوة (البن) ومكانها وحضورها في التراث العربي والإسلامي تؤكد أهمية القهوة، مثلما هي حكاية القوم الذين أصيبوا بمرض، ويقال أن جبريل أمر النبي سليمان أن يأخذ هذا البن من اليمن ثم يغليه بماء ويقدمه لهذا القوم، وأشار سعيد السريحي في كتابه غواية الاسم – سيرة القهوة وخطاب التحريم، صفحة: ٢٠، بأهمية القهوة حينما جاء جبريل بالبن إلى النبي محمد عليه أفضل صلى الله عليه واله وسلم بعد ما أصابه الهم والغم نتيجة عدم تصديق القوم لدعوته.

د. فهد حسين

أما الأسبقية ففيها اختلاف، حيث إن اكتشاف القهوة التي مصدرها أثيوبيا أو اليمن، إذ بين حامد علي باضاوي في كتابه النبذة السنية في القهوة البنية، صفحة:11–15، بأن هناك من يرجع اكتشافها إلى الصوفي علي بن عمر الشاذلي المتوفى سنة 828 هـ، الذي قام برحلة إلى أثيوبيا (الحبشة)، وهناك من يشير إلى أن المكتشف الثاني الفقيه محمد بن سعيد الذيحاني المتوفى سنة 875 هـ، الشيخ عبدالرحمن بن محمد العيدروس المتوفى سنة 914 هـ. كما يقال أن القهوة بدأت تظهر في شكل عرفه الناس، وبدأوا يتذوقون هذه الثمرة في شكل سائل ساخن، إذ بدأ ذلك من تركيا مع القرن الرابع عشر الميلادي. وأخذ يسمى بالقهوة التركية، واستمر بعد ذلك متنقلاً في الدول الأوروبية والعربية عامة، ليكون مشروبًا أساسيًا في حياة الناس اليومية سواء قدم في المنازل أم في المقاهي التي تشكلت وبنيت أمكنتها من أجلها، ومع الزمن والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والمعرفية طرأ تغيير على نوع القهوة وطرائق إعدادها وآليات تقديمها، إذ لن تذهب أي مكان في العالم إلا وتجد المقاهي متناثرة على جانبي الشارع، وفي التنزهات والملاهي والأمكنة السياحية. ويقال أيضًا أن للقهوة فوائد، فحبوبها مضادة للأكسدة، وتعمل على حسر انتشار المواد الضارة التي تسبب بعض الأمراض، مثل: السرطان والقلب والشرايين، وكذلك تعمل على زيادة حساسية الجسم للأنسولين فتسهم في تخفيض نسبة السكر في الدم، وتقي الكبد من التليف؛ لأنها تقلل من إنزيمات الكبد، وتسهم في خفض نسبة الإصابة بالجلطات الدماغية والنوبات الصدرية، وتحارب الشيخوخة، وغيرها من الإيجابيات والفوائد، وقال العلامة عمر بن سقاف بن محمد السقاف حينما أقبل عليه الساقي بالقهوة فأنشد قائلاً:

قد أقبلت وسوادها يتوقد
ومن العجائب أن يضيء الأسود
وسوادها أبيضت قلوب أولي النهى
بسوادها ساد السواد ويحمد

وقال عمر بن علي الشاذلي:

قافها القوة والهاء الهدى
واوها الورد والهاء الهيام
لا تلومني على شربي لها
إنها شربٌ لسادات كرام

وقال أبو بكر العيدروس هو في حالة سمر مع الشاذلي:

ودارت علينا للمعارف قهوة
يطوف بها من جوهر العقل خمار

أما إذا وقفنا عند المقاهي، فالنظرة الدونية كانت هي السائدة قديمًا،

على اعتبار يرونها مسرحًا للممارسات المنحرفة، أو محطّة لانتظار قطار الموت للذين فقدوا الآمال وأصبحوا مرضى بحكم السن، وكأنّ هذا المكان أنشئ للذين سئموا الحياة الاجتماعيّة. بل وصل الأمر وهذه الدلالة إلى اعتبار المقاهي مكاناً يحمل بين طيّاته العيوب الأخلاقيّة، والجلوس فيه لا يليق بالناس المرموقين. ولكن في الاتجاه الآخر يراه المكان الذي يحتضن الناس على اختلاف مشاربهم ومستوياتهم وطبقاتهم وتطلعاتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فالمقاهي هي الأمكنة التي تزيل الهموم وتدخل بعض البهجة على الناس، كما تسهم في إيجاد مناخ للحوارات والمناقشات المثمر، بين المثقفين والسياسيين والفنّانين سواء تلك المقاهي التي أنشئت في أوروبا، وتحديدًا في فرنسا، أم تلك التي أنشئت في العالم العربي، مثل مقاهي القاهرة.

تباين عدد من الفقهاء ورجال الدين حول حرمتها أو حليتها، واستمر ذلك الجدال بين مؤيد للحرمة، ومعارض لها حتى القرن الثامن عشر تقريبًا، إذ بيّن محمد م. الأرناؤوط، من التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي، صفحة:9، ما سميت بواقعة مكة « حين ضبطت القهوة وهي تشرب في جوار الحرم، مما أدى إلى رفع محضر إلى العاصمة القاهرة يكشف عن عناصر الارتياب في تأثير هذا المشروب الجديد على الوسط المحلي « ومن ضمن الأقوال التي تؤكد حرمتها ما أشار إليه عبدالقادر محمد الجزائري، عمدة الصفوة في حلّ القهوة، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، صفحة: ص39، « فمن قائل بحرمتها، مفرط في ذمها، والتشنيع على شرابها، وبالغ في حرمتها فادعى أنها من الخمر المسكر، وقاسها به وساوى، وبعضهم نسب إليها الإضرار بالعقل والبدن، ومن قال بحلّها يرى أنها الشراب الطهور المبارك على أربابها، الموجبة للنشاط والإعانة على ذكر الله، وفعل العبادة لطلابها «. وقد أفتي الشيخ محمد البكري الصديقي المتوفى في العام 1585، كما أشار الأرناؤوط في صفحة: 19، بأن شربها حلال، ولا لبس فيه، إذ يقول فيها:

أقول لمن ساق بالهم صدره
وأصبح من كثر التشاغل في فكر
عليك بشرب الصالحين فإنه
شراب طهور سامي الذكر والقدر
فمطبوخ قشر البن قد شاع ذكره
عليك به تنجو من الهم في الصدر
وخل ابن عبدالحق يفتي برأيه
وخذها بفتوى من أبي احسن البكري

أما الشهاب بن حجر فله رأي آخر يعيب فيه شرب القهوة، فيقول: شراب يتخذ من قشرة البن يسمى ذلك القهوة، وطال الاختلاف فيه، والحق أن ذاتها مباحة ما لم يقترن بها عارض يقتضي التحريم، حيث أشار جمال الدين القاسمي الدمشقي في رسالة في الشاي والهوة والدخان، صفحة:14، حول ذم القهوة والقهاوي إذ قال الشيخ محمد العلمي من خلال نظمه لأبيات في هذا الشأن:

واحذر دخولك للقهوات إن بها
جل الفواحش مع كذب وغيبات
كم قهوة أصبحت للهو جامعة
وكم بلايا بها لأهل الديانات
كمحنة شغلتهم عن بيوتهم
وعن صلاة وأوراد وطاعات

لا شك أن ارتياد المقاهي عند إنشائها تثير الارتياب، بل حتى مع بداية القرن العشرين وإلى منتصفه هناك من العائلات التي تمنع أبناءها من ارتياد هذه الأمكنة لعدة أسباب، منها على سبيل المثال عدم رغبة الأسر في اختلاط أبنائهم بالطبقات والفئات غير المنسجمة مع مستواها الاجتماعي، وربما أن على طاولات هذه المقاهي والأمكنة تدور أحاديث لا يرغب الأهل أن تدخل في آذان أبنائهم، وقد تكون النظرة الدونية لمن يرتاد مثل هذه الأمكنة نظرة دونية وفيها نوع من الازدراء، لذلك كانت المقاهي العربية عند تشكلها وانتشارها تختلف من حديث الارتياد والحضور عن المقاهي الأجنبية عامة.

وبناءً على هذا التغيير في المفهوم، وفي الخدمات التي تنوعت بين الشاي والقهوة والمشروبات الغازية والعصائر، ظهرت لهذه الأمكنة تسميات متعددة، وفي مواقع مختلفة على الأقل في العالم العربي، فهناك المقهى والقهوة والكازينو والحانة، كما تنوّعت مواقعه في الأمكنة الجغرافيّة، مع تنوّع الشكل الهندسي لمبنى هذا المقهى أو ذلك، كما تنوعت الفئات التي كانت ولاتزال تحرص على ارتيادها، كالكتاب والشعراء والسراد والنقاد، والصحفيين والفنانين التشكيليين والمصورين والسينمائيين، وبالمناسبة كان في منطقة الخليج تقدم مشروبات كثيرة، ومنها ما كان يطلق عليه (الشربت)، مثل: شواب الورد الممزوج بالحليب، وشراب اليمون، وشراب البرتقال، وشواب المانجو، بالإضافة إلى بعض الأكلات الشعبية الخفيفة التي تقدم عادة في الصباح، أما في المقاهي الحديثة فالأمر مختلف، فما يقدم من مشروبات ومأكولات لا تقدم في تلك المقاهي، حيث لديها المشروبات الساخنة والباردة (المثلجة) من القهوة، مثل: قهوة أمريكية، كابتشينو، كافي لاتيه، موكا، سبر يسو، وغيرها من الأسماء التي تظهر بين فترة وأخرى في ضوء التحديثات والتطويرات التي تقع على المشروبات.

في عصرنا الحديث، والواقع المعيش يؤكدان أن لأكثرنا نحن بني البشر الذين نعيش في المدن أو الأمكنة ذات الصبغة المدينية والمدنية، أن الكثير من أفرادها عامة يقطعون جزءًا من أيام أسبوعهم ليعطوه لهذه المقاهي، أي يذهبون إليها راغبين في قضاء وقت ممتع مع أنفسهم أو مع أصدقائهم، يقضون هذا الوقت في شرب المشروبات الساخنة أو الباردة، والبعض يفضل الشيشة (النارجيلة) صديقة له في هذه الجلسات، ويتجاذبون أطراف الحديث في موضوعات شتى، وتحديدًا في مجال اهتمامهم، وتخصصاتهم ومجالاتهم.

وربما تبادر للإنسان بين الحين والآخر سؤال يطرحه على نفسه أو على الأخرين، وهو لماذا نحن نرتاد المقاهي؟ وبين كامل مصطفى رحومة، المقاهي الثقافية في العالم – القاهرة، باريس، دمنهور، صفحة: 27-32، عدة أسباب لهذا الارتياد، بمعنى، هل لأن المقهى مكان للترويح والترفيه والمتع؟ هل لأن المقهى مكان لفعل الكسل والخمول والهروب من التحديات؟ هل لأنه مكن لأصحاب العقليات الخرافية التي تناجي حظها في الخوارق؟ هل لأن المقهى مكان للمنافع المادية العائدة عن ارتياده؟ هل لأنه مكان لراغبي الخصوصية؟ هل لأنه مكان لترسيخ العلاقات الاجتماعية؟ هل لأنه مكان التجمع الذي ينشد المرء دائمًا مصيره بعيدًا عن المؤسسات؟ هل لأنه مكان له دور نفسي للمرتاد؟ هل لأنه مكان يملك مستوى أكثر من الأمكنة الأخرى، فيما تخص الحريات ذات العلاقة بالتغيير؟ هل لأنه مكان يقوم بدور التوعية وإنتاج واستهلاك الثقافة وتلاقي الأفكار؟ هل لأنه مكان راصد للمجتمع وتغيراته؟

إن العلاقة بين المقهى باعتباره مكانًا، والإنسان باعتباره مرتادًا علاقة حميمة ونفعيّة في وقت واحد، لأنّ المرتاد كان حريصًا على الاحتفاظ بمقعد في هذا المكان، لاحتياجه المُلح إليه في غربته، أو في حزنه، أو في فترة يرغب في قضائها بعيدًا عن كل معكرات الحياة، وبهذا كأنّ المرتاد يؤكد على التشبث بهذا المكان والتمسك بوجود اللحظة، ومعايشة الذكريات، وإعادة الحكايات التي تلبسه الدفء والحنان، بمعنى آخر العلاقة بين الإنسان الذي بات المقهى ملازمًا لحياته ويومه ووقت فراغه، فهي علاقة نفعيته حميمة تظهر في التمسك به، والالتحام معه ، فالمرتاد يلامس التفاعل والتواصل، وعلى الرغم الابتعاد عن حدوده المنزلية، فإنّ فسحة المقهى وفضاءه يقدّمان له نوعًا من المعانقة، ففي هذه العلاقة مذاق الماضي وطعم الحاضر، كما أن هذه العلاقة تعطي بعدًا جماليًّا للمكان، والرغبة النشطة في الارتياد، والإحساس بالتماثل في تحريك الذكرى.

من هنا كان حرص أصحاب المقاهي القديمة والحديثة العربية على هندسة مكان المقهى بشكل جاذب للناس، وأن يضعوا على الجدران صور بعض الشخصيات التي حظيت بمكانة مرموقة في مجالها، كالأدباء والكتاب، أو المغنيين، أو الفنانين التشكيليين، أو الممثلين، أو صور بعض اللاعبين المشهورين عالميًا، وهذا جزء من عملية التسويق والإعلان، ويحرص المسئول عن إدارة المقهى أن يضفي على المكان الطابع القديم، مثل بعض الآلات الموسيقية، أو الآلة الطابعة، أو جهاز المذياع، أو بعض الأواني القديمة، أو بعض الملابس التي كانت ترتدى في العصور السابقة، أما المقاهي الحديثة الأجنبية لا تهتم بهذا الأمر بنفسها، بل توكل هذه المهمة إلى شركات متخصصة تعرف كيف تسوق لهذا المقهى أو ذلك، أو لهذا المنتج من المشروب بالوسائل التي تراها ذات علاقة وصلة بذوق الزبون، والتطلع الثقافي العام الذي يتواكب والفئات المعنية بحضورها لهذا المقهى أو ذاك.

وقد قال الأديب علاء أبو النجا: إن الحركة الأدبية في مصر بدأت من المقاهي، ولم تنطلق من المكاتب، أما الشاعر العراقي حسين مردان فيقول: المقاهي هي جامعات حقيقية للأدب والشعر. وهذا ما يؤكد أن المقاهي كانت مختبرًا للتجارب السياسية والفكرية والمدارس النقدية، ويمكن القول أن مقاهي صنعت أدباء، وأدباء صنعوا مقاهي، أما لو نظرنا إلى المقاهي الشعبية في منطقة الخليج فإن الغالب الأعم تدور الأحاديث بين المرتادين حول العمل والبحر والسوق والتجارة، أو الحكايات الشعبية، والتسلية ولعب بعض الألعاب الشعبية التي كانت منتشرة آنذاك. وهذا يعني أن الحديث عن المقاهي، فهو الحديث عن تاريخ المكان والبلد والحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والعاطفية.

ضد الدقة في جماليات الخطأ

الشعـــر العَـــرَضـــي فـــي المصحـــح اللغـــوي الأوتـــومـــاتيكـــي

تعتبر المشاريع الزراعية صمام الأمان للمزارعين الصغار الراغبين في زيادة الإنتاج بتطوير الأنظمة الزراعية الحديثة بمساعدات الإئتمان الزراعي من البنوك الزراعية الوطنية أو حتى من المنظمات الزراعية بعمل دراسات قبل المشروع وبعد التطوير وحساب العائد المالي من خلال التحليل المالي والعائد الاقتصادي على المجتمع، حيث يعتبر القطاع الزراعي قطاعاً انتاجياً هاماً في الاقتصاد الوطني، قطاعاً منتجاً للخيرات المادية حيث تقوم علية كثير من الصناعات الغذائية، أما حاليا كثير من الدول الصناعية تسعى لتحويل غذاء الإنسان مع زيادة الطلب على الغذاء وزيادة المجاعة تحويله إلى صناعة الطاقة الحيوية بهذا العمل تنافس الصناعات النفطية الحفروي (الصخري) العالمي ومشتقاته.

كريم رضي

«كلما كان الخطأ كبيراً أو فاحشاً بدا كأنه صواب كامل»
قاسم حداد

كم مرة أغضبك المصحح اللغوي الأوتوماتيكي في هاتفك عندما أردت أن تكتب رسالة لصديق تعزيه، و بعد أن ضغطت على زر إرسال اكتشفت مرعوبا أنك كتبت «لكم العراء» بدلا من «لكم العزاء!! أو في تهنئة بالعيد كتبت «غير مبارك» بدلا من «عيد مبارك».؟ أو عندما أردت أن تكرم شخصا بعبارة «الله لا يهينك» كتب المصحح «الله لا يهنيك»؟!! هي أخطاء كما ترى مزعجة بل قاتلة أحيانا.

ومن الطرائف وربما الفظائع التي تذكر في كوارث لغوية غير مقصودة ما نقل عن رئيس تحرير جريدة مصرية حين جاءته في ساعة متأخرة من الليل إلى منزله عائلة توفي عميدها وتريد نشر تعزية في الجريدة في صباح اليوم التالي فما كان منه إلا أن دوّن على ورقة نص التعزية التي يأمر بنشرها مذيّلا إياها بعبارة: "إذا كان هناك مجال" ،وكان يقصد إذا وجد مجال للنشر، وقال اذهبوا بها حالا إلى مقر الجريدة لإدراجها قبل الطبع، فنزلت التعزية في صباح اليوم التالي مذيلة بعبارة: "أسكنه الله فسيح جناته، إذا كان هناك مجال" !!

غير أن هذا المقال بجريدة الغارديان The Guardian والذي يمثل ما يمكن وصفه بأنه مرافعة ضد الدقة Anti Precision له رأي آخر. لا تنكر الكاتبة كون الأخطاء في المصحح الأوتوماتيكي مزعجة ومثيرة للغضب لكن تقول لها أيضا جانبها الإيجابي. إن لعدم الدقة أيضا جمال تبدعه المصادفة بشكل غير مقصود و للخطأ اللغوي انحرافات قد تتحفك بمعنى غير مسبوق كأنه الشعر.

هذا ما يحدث مثلا حين تريد أن تكتب "أراك قريبا" فيكتب المصحح "أريدك قريبا مني" مستبدلا الفعل "أراك" بـ "أريدك" ومضيفا كلمة أخرى على الجملة. لو أنت أرسلت مثل هذه العبارة إلى امرأة جميلة قد تمثل إحراجا، لكنها في ذاتها رائعة كعبارة صداقة تخاطب بها شخصا حميما. ومثل ذلك حين تريد أن تخاطب مريضا "صحتك أغلى ما لدينا" فيكتب المصحح "ضحكتك" بدلاً من "صحتك" وتضغط أنت زر "إرسال" فتصبح العبارة "ضحكتك أغلى ما لدينا"، وهي أكثر شاعرية وتحفيزا مما أردت أنت إرساله في الأصل.

هل اللغة إذن كائن بذاته، مستقل عن قصدية القول؟، وهل يكون كلامٌ قيل عن غير قصد أجمل من قول خططنا له ودربنا حنجرتنا على النطق به، وأقلامنا على كتابته؟، وماذا عن الفجوة بين المسرود والمقصود من القول، هل من صالح المعنى أن نردم هذه الفجوة أم نتركها لتفاجئنا بما في اللغة من كنوز مخفية يكشف عنها لحن القول وخطأ التعبير؟

إن المصحح اللغوي الأوتوماتيكي يعتمد على ذاكرة تحتفظ بالكلمات التي كتبتها أنت سابقا ويسارع في صف الجملة كما يقترحها هو بناء على هذه الذاكرة. كما أن لديه هو ذاته كجهاز تصحيح عبارات دارجة مستخدمة لدى العموم حتى لو لم تكن أنت استخدمتها من قبل، فمثلا حين تكتب كلمة "صباح" يضيف هو كلمة "الخير" أو كلمة "جديد" أو كلمة "غائم. وبرغم أن البلاغة عند العرب يتوقف حصولها على عدم الخطأ في إحراز المعنى المقصود، والمنطق عند العرب تعريفه أنه «آلة قانونية أو قاعدية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ»، فإن للخطأ جماليات غير محسوبة وغير مخطط لها.

كوكو خان

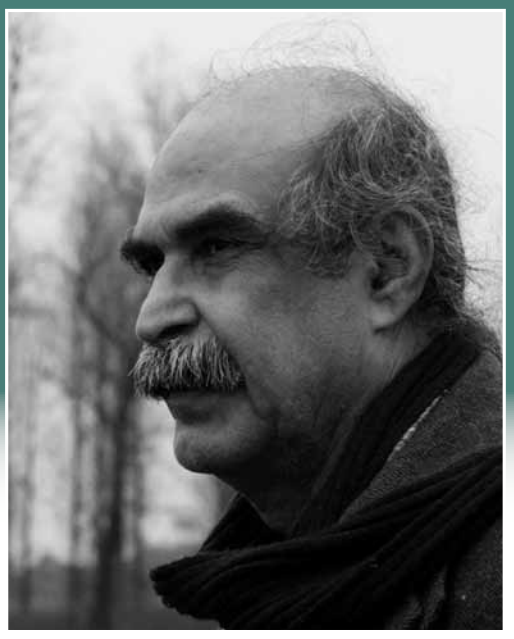

قاسم حداد

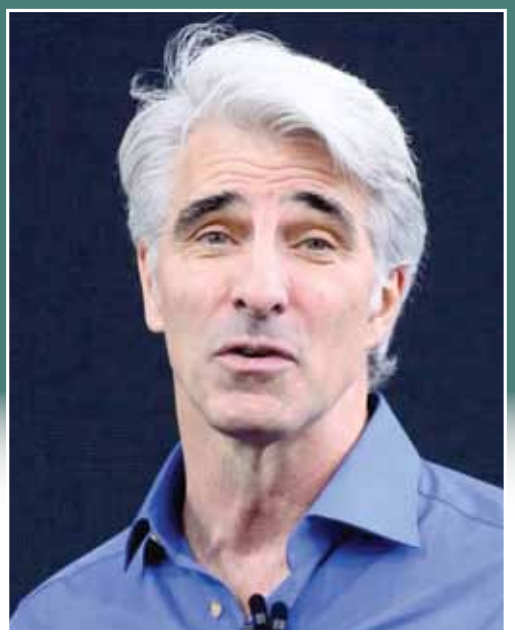

نائب رئيس «ابل» للبرمجيات

هذا ما يسميه المقال المنشور في جريدة الغارديان The Guardian بتاريخ 07 يونيو 2023 لكاتبته كوكو خان Coco Khan وهي كاتبة بالتعاقد في الجريدة بـ "الشعر العَرضي Accidental Poetry" في المصحح اللغوي الأوتوماتيكي.

تقول الكاتبة كوكو خان: "برغم أن أخطاء المصحح الأوتوماتيكي قد تكون مزعجة بل مثيرة للغضب، إلا أننا للأسف سوف نفقد الكثير من جماليات الشعر العَرَضي Accidental Poetry إذا قمنا بتحسين المصحح الأوتوماتيكي بحسب ما تنوي شركة Apple أبل فعله في نظامها التشغيلي الجديد iOS 17 الذي سيصدر في يوليو 2023 عبر استخدام الذكاء الاصطناعي لجعل المصحح الأوتوماتيكي أكثر دقة في رصد أخطاء الكلام. تضيف الكاتبة في مقالها: "لقد كان المصحح الأوتوماتيكي بأخطائه منتجا للشعر العَرَضي Accidental Poetry لعقد من الزمان، غير أننا سنفقد ذلك مع مزيد من التطوير في الذكاء الاصطناعي بحيث سوف يكون المصحح الأتوماتيكي أدق قدرة على التنبؤ بما يريد مستخدم جهاز الآيفون قوله من كلام بما في ذلك حتى الشتائم أو الكلمات النابية، كما تشير إلى ما صرح به نائب الرئيس للبرمجيات في شركة أبل عن جيل جديد من نظام التشغيل لأجهزة الآيفون هو نظام iOS 17 – Iphone Operating System والذي سيكون أكثر قدرة على ردم الفجوة بين ما نقول وما كنا نريد أن نقول بحسب مضمون المقال.

وبرغم أن الكاتبة تلمح إلى أن تصريح المسؤول الكبير في شركة أبل يقول إن النظام التشغيلي المطوّر سيضمن للمستخدمين أن الشتائم ستصبح من الآن فصاعدا أكثر سهولة للتخزين في ذاكرة المصحح الأوتوماتيكي والذي كان كما يبدو لا يحتفظ بكلمات نابية من هذا النوع في السابق، فإن الكاتبة كوكو خان تنعى فقدان الشعر التلقائي أو العَرَضي الذي كانت تنتجه الفجوة بين المقول وبين المراد قوله.

تُسارع الكاتبة إلى تصحيح الانطباع لأول وهلة حول مقالها: «إنني لا أريد أن أقلل من قيمة وضع كل كلمة في مكانها الصحيح بما في ذلك لو كانت لعنا أو شتيمة، ولا أقول أنني لا أتفهم بديهيا أن الآلة صُنعت لتفعل ما يريد الإنسان فعله وليس العكس، ولا أنني لم أنزعج ولم أغضب وأنا أرى كلمة Brexit والتي تعني خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي تتحول أمام عيني بعد أن ضغطت زر الإرسال إلى كلمة Breakfast والتي تعني إفطار. كلا، ليس الأمر كذلك، بالطبع انزعجت كثيرا من ذلك. ولكن أريد القول إن بعضا من أفضل الأشياء في حياتنا يأتي من الأخطاء. هنا بالتحديد نجد الأكاذيب السحرية في المصحح الأوتوماتيكي والتي تأتي أحيانا لنا بالحقائق الصحيحة على غير ما نتوقع. لقد كتبتُ ذات مرة عن أخذ مشروب Aperol بعد العمل وهو كوكتيل فواكه منعش، فحولها المصحح الأوتوماتيكي إلى A peril بعد العمل. بذلك أصبحت الجملة: لدي خطر أو لدي مسؤولية أو مخاطرة أو مجازفة بعد العمل.

لعل من أجمل التجارب احتفاء بالخطأ كتابات الشاعر قاسم حداد فأحد عناوين دواوينه هو (جنة الأخطاء). ويكتب قاسم في عناوين قصائده (أخطاء الليل، أخطاء الموج، أخطاء الحقل). يميز قاسم حداد بين الهذر والهذيان في هذا المقطع الملهم الذي لعله يتضافر مع كاتبة مقال الغارديان كوكو خان وهي تنعى فقدان إمكانية الإبداع في أخطاء المصحح الأوتوماتيكي حين يتم تفعيل النظام التشغيلي الجديد iOS17: «إن الهذر مجرداً، هو فعل غير شعري. ولكن بوسع الشاعر الموهوب، وهو يمتلك المعرفة والخبرة، أن يجعل من صنيعه الشعري، مادة يحقق فيها درجة الهذيان الإبداعي الذي يأخذ النص إلى لحظة الشعر. لا نستطيع أن نطلق أحكاماً عامة صدوراً عن محاولات تفشل هنا وتتعثر هناك وتنجح أحيانا. كل ما في الحياة يمكن أن يكون شعرياً إذا تناولته موهبة تعي ما تفعل. وهاجس التجريب ليس جديداً في حقل الإبداع، إنه حق مشروع وجميل كلما تيسرت له الشروط الشعرية. حتى الهذيان (لكي أميزه عن الهذر) يمكن أن يكون شكلاً من أشكال الذهاب الشعر. ألم يقل السابقون عن المهلهل أنه بالغ في الهذيان حتى قال شعراً؟. في ظني – الكلام لقاسم – أن الشعر لا يتطور ولا تتبلور رؤاه ونصوصه إلا بحرية التجريب وإدراك جماليات اللغة وملامسة طاقاتها اللامحدودة في التعبير. نحن كائنات لغوية لا تتحقق إلا بما تنتجه من الألفاظ هذه التي قد تصبح سلبية ليست في الشعر الراهن فحسب، ولكن في أي شعر على الإطلاق، إذا هي كفّت عن صدورها من حساسية شعرية واعية. اللغة هي خبرة الإنسانية كاملة ممتزجة بشخص محدد في لحظة محددة هي النص الآن»

وأجدني أخيرا أكرر بلغتي وتجربتي الخاصة رأي كوكو خان في جريدة الغارديان: «ليس أني لم أغضب حين رأيت أمام عيني دعوتي الأصدقاء إلى الحوار تتحول أمام عيني إلى «تعالوا إلى الخوار» وهي كلمة تعني صوت الأبقار ما يعني أنني أسخر من الندوة المعنية، ولكني أيضا أراهن مثل الكاتبة ومثل قاسم على أن في الأخطاء تحفٌ لا تقدر بثمن. تحفٌ تصوغها المسافة بين ما ننوي وما نروي.

تُرى ألهذا كانت كلمة (قصد) إعادة ترتيب لكلمة (صدق) وكأن بينهما وشيجة ترادف وتخالف في الوقت نفسه؟ كأن الصدق في العفوي والتجريبي أكثر مما هو في القصد».

رابط مقال الكاتبة بجريدة الغارديان: 7 يونيو 2023:
Autocorrect can be 'ducking' annoying، but we'll miss its accidental poetry when it's gone | Coco Khan | The Guardian

تمـــدد اللامكـــــان

حسين آل ربيع

كان يامكان في قديم الزمان، ليس قديماً جداً، أذكر عندما كنت أجلس مع الأهل والأصدقاء وجيران الحي كنا صغاراً نلعب ونلهو بالقرب من بستان القرية أو بعض الأحيان داخله مع ما في ذلك من مخاطر، لأن صاحب البستان لن يقف مكتوف الأيدي وهو يرانا نعبث في مزروعاته، كان البستان هذا يفصل بين قريتنا والقرية المجاورة، وهذا البستان الممتد –يقول كبار السن أنه كان يصل حتى حدود ساحل البحر القريب في ما مضى– هو متنفسنا على طول فترة الطفولة والصِبا احتوى مغامراتنا شقاوتنا إنه مكانٌ محمّلٌ بالذكريات، ولم يمضي وقتٌ طويل جداً على تحوله الى لامكان..!

كان البستان بالنسبة لنا ولأهل الحي مجالاً خصباً للتأمل وللمخيّلة، فمن قصص الجنيات التي تخرج منه ليلاً الى تأمل أقواس المطر اللامعة بعد هطول المطر وظهور الشمس من بين الغيوم. يشع ضوء الشمس فيه على سعف النخيل أولاً ثم ينتشر في كل الأرجاء، هكذا كنت أراه، وتشمّ من البستان بعد هطول المطر رائحة جميلة جداً هي رائحة الأرض والزرع لحظة التقائهما بمياه المطر، رائحة تشعرك بالطمأنينة والراحة وتملأ عقلك بالذكريات. كان البستان ملاصقاً لبيت جدي الذي تربينا فيه وعشنا جل طفولتنا، كان جدي يجلس عند العصر مع أصدقائه قبالةَ البستان يتبادلون الحديث وأكواب الشاي حتى الغروب وفي الليل في أيام العُطَل واعتدال الجو كان الكبار يسمحون لنا بالجلوس معهم أمام البستان حتى قبيل الفجر يتسامرون ويتبادلون الأحاديث.

يتحدث الشاعر أحمد رضي في كتاب "المدينة والمدنية" عن المكان وعن المعالم والتضاريس التي تشكّل مايمكن أن نسميه مكاناً، والمكان هو الذي نألفه، نتربى فيه أو حوله والذي يكون لنا فيه ذكريات. يشكل المكان هويتنا ونشكل نحن هويته هي في أقرب تقدير عملية تبادلية بين الإنسان والمكان، الإنسان والمدينة/القرية/ الضاحية... الخ، أو ما يمكن أن نسميه التواصل بين الإنسان وبيئتهِ وثقافته وهي تراكمات أنتجها عبر عقود وأجيال، فالبشرَ عندما يكونونَ ذو طبيعة مرحة ينعكس ذلك على أبنيتهم شوارعهم ومقاهيهم، وعندما يكونون عمليين صارمين تتأثر بذلك هندسة مبانيهم وأشكالها، يحرص الناس دائماً على الحفاظ على البيئة الإجتماعية وعلى مجالهم الحيوي؛ وكل "ماتفعله الرأسمالية، هو تحويل المكان بطبيعته وبيئته الإجتماعية، الى "لامكان" أي تلك الأماكن التي ليست سوى نقاط عبور، ومنها الطرق السريعة من أجل سهولة تدفق البضائع، فالطرق السريعة ليست مكاناً، هل لدينا ذكريات فيها؟ هل يمكن أن نرتبط بها؟" (1)، يشعر الإنسان بالإغتراب عندما يفقد هذه الروح التواصلية الحميمية بينه وبين المكان، يكون الإنسان غريباً عندما يهاجر هو، أو يهجره المكان.

وقفت قبل أشهر قليلة على أطلال بستان القرية الذي تم هدمه بالكامل واستحال هذا البستان الأخضر الجميل المليء بالذكريات الى تراب! يالهذا البؤس هُدِم البستان وابتعد البحر كثيراً من أجل أن تقام محلهما مشاريع تجارية وأبنية اسمنتية صماء عالية جداً لا يمر من خلالها الهواء، لا أعرفها ولا أنتمي لها ولا تنتمي لروح المكان، نوافذها الزجاجية كثيرةٌ جداً وصغيرة مثل أقفاص الطيور. هذه الأبنية الحديثة التي لانعرفها ليست مكاناً أيضاً، لأنها مجرد ممرات للعابرين ولاتنتمي لأي شيء. الشوارع والمطارات ومحطات الباصات ليست أمكنة، بحيث لايمكن للإنسان أن يستقر فيها. وقد ساهمت الأبنية الشاهقة التي تحوّط القرى والأحياء السكنية في تشكيل حزام ضيّق على الأحياء السكنية مما شكل عامل سلب للمكان عن مكانيته، "فبينما نحيا في عصر نظنه مفتوحاً على العالم، نجده ينغلق في المدينة ذاتها، بين أحياء تتكدس فيها الطبقات الدنيا" (2)

وغالباً ما يتم تبرير هدم البساتين وتقلص المساحات الخضراء بذريعة التمدد العمراني وازدياد عدد السكان، توفير المساكن والمباني أولى من الإبقاء على مساحات خضراء وساحات فارغة لافائدة منها، ولكن لو أخذنا على سبيل المثال بلداً مثل ألمانيا التي زادت فيها المساحات الخضراء –كما يذكر رضي– عما كانت عليه قبل الثورة الصناعية، أي أن التمدد العمراني لم يلغي المساحات الخضراء ولا الساحات العامة وذلك بفعل الدراسات والسياسات الحقيقية الجادة والعِلم والقانون. حين تطلق الرأسمالية حرية التملك والشراءَ من دون ضبط ورقابة قانونية يتحول كل شيء الى ملك خاص لمن يقدر على الدفع أكثر، وهذا التملك الخاص سيحاصر الناس في كل مكان ويكتم على أنفاسهم لتتحول أشياء مشاعية بطبيعتها مثل السواحل والمنتزهات والساحات العامة أو المساحات الخضراء والبريّة الى مالك واحد يسورها ويغلقها ويجعل بقية الخلق ينظرون لها من الخارج ولا يدخلونها إلا بتذكرة دخول مدفوعة الثمن أو بشروط معينة يحددها المالك. هذه السوق لن ترحم أحداً لأن طموح التملك عند البشر لا حدود له والرأسمالية بسوقها الحر تطلق العِنان لهذا المارد البشري أن يتملك ماشاء طالما أنه قادرٌ على دفع القيمة المادية. الأجدر أن توضع حرية التملك الخاص تحت الضوابط القانونية والرقابة الشعبية.

العمران الأفقي والعمودي، الإسمنتي والإسفلتي مهم ولكنه ليس كل شيء، ثمة أمور مهمة تخلق للإنسان عالمه هي ما يمكن أن نسميه المكان، الأراضي الزراعية الطبيعية المشاعية والسواحل العامة هي روح المكان ونَفَسه، ومع ذلك فإن حداثتنا بطابعها الإستهلاكي البحت تتركز فقط على البناء والبناء المستورد، لهذا فهي حداثة ظهرها الى الجدار كما قال د.حسن مَدَن:"الحداثة في مجتمعات الخليج العربي ظهرها الى الجدار لأن التحديث فيها مازال يتكيء على الجانب العمراني –المظهر غير الخافي عن الأعين– وهذا الجدار نفسه يتحول مع مرور الوقت الى صد بوجه تقدم الحداثة" (3) ،يذكرنا هذا بمدن الملح التي صاغها عبدالرحمن منيف بحِرَفيّة عالية في عوالمه المتخيلة التي تحاكي واقع المدينة الخليجية قبل وبعد مراحل اكتشاف النفط والتغيرات الإقتصادية العمرانية التي طرأت وبشكل سريع ومفاجئ على المجتمع الخليجي ومدى تأثيراتها الإجتماعية على البيئة والمكان والحالة النفسيّة للأفراد. التحديث الإستهلاكي قد يسلب الفرد أهم العناصر المكوِّنة لمدنيّته ولبُنيته البيئية الحيوية ولأنه لايأتي على هذا النحو من صميم التطور المحلي التدريجي إنما هو شيء مستورد مبهم، وهنا يكمن الفرق مابين الحداثة الفكرية الثقافية والتحديث العمراني الإستهلاكي. التغيير سُنّة من سنن الحياة وعلى الإنسان أن يتكيف معه رغم صعوبته، أما أن يكون بهذه السرعة وبهذه الطريقة السلبية التي قد لايستوعبها الناس يكون الأمر أكثر تعقيداً مما نتصور.

على المدينة الحقيقية واجب مهم وهو أن تساهم في تعزيز الجوانب الثقافية وتتسع لتبادل الأفكار واحتواء المختلف، على هذا النحو يمكن للمدينة أن تكون متحضرة وبابٌ للدخول في عصر الحداثة بالمعنى الفكري الثقافي والمعنوي لا العمراني وحده، و"للخروج من الأفق الضيق "خارج الطائفة" أو "خارج الجماعة" التقليدية، وللدخول في عصر الفردية، عليك أن تبني المدن المختلطة عرقياً ودينياً، والناس إذ تخسر بهذا شبكة التضامن الإجتماعي التقليدية، تبدأ بالبحث عن تضامنيات حديثة في الأحزاب والأندية، والمراكز الثقافية والإجتماعية" (4).

مصادر الإقتباسات:

(1) – أحمد رضي، المدينة والمدنية، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2021، p. 22.
(2) – أحمد رضي، المدينة والمدنية، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2021، p. 23.
(3) – د.حسن مدن، حداثة ظهرها الى الجدار، دار الرافدين، 2021، p. 54.
(4) – أحمد رضي، المدينة والمدنية، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2021، p. 24.

دور التحديث وأهميّته في الحياة الإنسانية

جعفر محمد علي

في عالم اليوم، لا يمكننا أن نغفل أبداً عن أهمية التحديث ومكانته في حياتنا. هذه الأهمية التي تتصل بجميع مجالات الحياة، بدءاً من الأنظمة والإدارة والسياسة، وصولاً إلى الثقافة والمجتمع والحياة العامة.

يرى الكاتب سلامة موسى أن الثقافة تؤدي إلى الحضارة، فالثقافة، برأيه، هي الطريق الحقيقي نحو تفعيل الحضارة، وعبر هذه القاعدة التي تقول: إن التعرف يؤدي إلى التأثر، والتأثر يؤدي إلى التحرك. والتي يوجزها سلامة موسى في أحد فصول كتابه الهادف: "ما هي النهضة"، متناولاً، ببراعته المعهودة، فصولاً تاريخية، لتاريخ التحديث وبدايات النهضة.

إن الفكرة العامة للتحديث، تكمن في الانتقال من القديم إلى الجديد. وغايته الرئيسية، هي الارتقاء بالإنسان والنهوض بالحياة. وقد أشرنا في المقال قبل الأخير، أنَّ قيم التحديث العصرية في المجتمعات الخليجية، قد بدأت فعلياً في مرحلة السبعينات، ولكن هذه القيم، متصلةٌ بالأسباب الإيجابية، والتي جعلت منها فاعلةً في البيئات الاجتماعية المختلفة؛ ومنها بدايات التعليم واكتشاف النفط، وأيضاً التأثير التجاري والثقافي، الذي كان فاعلاً ومدهشاً في الحياة العامة، في بلدنا البحرين خصوصاً.

مراحل التحديث في المجتمعات التقليدية لن يكون تحقيقها في غاية السهولة بطبيعة الحال، لأن البنية الثقافية والاقتصادية فيها كانت شبه معدومة؛ ولكن، ومن خلال الأسباب الموضوعية والذاتية، أصبحت هذه المجتمعات تكتشف التحديث شيئاً فشيئاً، وترى نتائجه المختلفة والمهمة في الحياة العامة.

إن تحديّات التحديث اليوم، لا زالت متشابهةً بين الماضي والحاضر. هذه التحديات، التي يختصرها التراجع الثقافي والحضاري، خصوصاً ذلك الذي يدعمه الجمود والوهم، والذي نراه بكل وضوح في تمجيد الماضي، بالرغم من مراحلة المظلمة والسيئة. وإنَّ الرجعية في حقيقتها، هي عقلية الخضوع والتشاؤم، والتي تنتشر غالباً في البيئات التقليدية، البعيدة عن قيم التنوير والتقدّم. والذي يدعو للأسف، أنَّ هذه العقلية، تصل في بعض الأحيان، لتقييم الحالة الأخلاقية في المجتمع؛ وتتحدث بقناعة ساذجة وتقول: (إنَّ البشر السابقين والقدماء، كانوا أكثر أخلاقاً منا). وهذه المقولة الجامدة، من الطبيعي أن يقابلها الغضب، لأنها إهانةٌ واضحة لحياتنا الحاضرة، أي لأخلاقيات التنوير وإيجابيات التقدّم.

مكانة التحديث في الحياة العصرية لا يمكن لها أن تُنجزَ فعلياً، من دون التأصيل والتنوير، على أهميته في الحياة الإنسانية. وإنَّ تطوّر الأنظمة، الادارية والسياسية والاقتصادية، لا يمكن له أن يكون، من دون وعي النخب وأصحاب القرار، بمكانة التحديث ودوره الايجابي على الحياة والشؤون العامة.

التطوّر الاقتصادي في حياتنا الحاضرة، يحمل أيضاً، تأثيراً مهماً في تفعيل عملية التحديث، في مجتمعاتنا الخليجية والعربية. وإنَّ الحداثة التي نعيشها اليوم، الراقية والهائئة والمتمدّنة، إنما تعود ثمراتها الأولى، إلى النهوض والتحديث في العقود والمراحل السابقة، تلك التي بادرت بها الرغبة الكبيرة في التجديد والحياة.

عندما نحاول الاضاءة على مشاريع التحديث والنهضة في مجتمعاتنا اليوم، من الطبيعي أن لا نتغافل عن أخطر المعوّقات التي تواجه هذه المشاريع؛ والتي تتمثل من خلال في الجمود الفكري والأفكار الرجعية، تلك التي تدعمها التقاليد السيئة في الثقافة الاجتماعية. وعند الاشارة إلى الثقافة في المجتمع، من الجدارة والمسؤولية، أن لا ننسى هنا، مكافحة المعتقدات الخاطئة، تلك التي تتحدث دائماً عن الزهد في الحياة – ومعناها أن نترك الحياة وأن نتخلّى عنها – والتي تقوم بترويجها العقلية الدينية التقليدية. وإنَّ أساس هذه المفاهيم والمعتقدات، قادمٌ من الوعظ والازدواجية، البعيد عن المسارات العلمية الصحيحة للعلوم النفسية والاجتماعية. هذه العلوم، التي تقوم بتحليل وتشريح الأبعاد النفسية والاجتماعية للإنسان، حيث أنَّ الرغبات والأخلاقيات، بحاجة إلى التنظيم والتوازن، بدلاً من الكبت والمواعظ التي تساهم بالكثير من الخسائر والأزمات، بحق الإنسان والحياة.

القيم التقدّمية ومبادئ الحداثة، كانت ولا زالت، تعمل على إعلاء مكانة الفرد وقيمته في هذه الحياة. ولأن هذا الفرد، هو النواة الرئيسية لتحقيق النهوض والإبداع، وعلى قاعدة القيم الإنسانية، التي تساهم في تطوير المجتمعات البشرية.

مسارات التحديث في مجتمعاتنا الخليجية والعربية، من الطبيعي أن تواجه الكثير من مظاهر التردد والاختلاف، خلال العقود والمراحل السابقة. ولكننا اليوم، ومن خلال النضج والثقة وتحمُّل المسؤولية، نستطيع مواجهة هذا المظاهر، عبر إيجابيات التحديث الواضحة، لشؤون الحياة المختلفة. وإنَّ التناقض الذي يعمل على الاحتيال الواضح للمتطلبات العصرية، إنما هو في حقيقته إحتيالٌ على الذات، وعلى تاريخ الجهود الكبيرة، التي بذلتها ثقافة التنوير والاكتشاف، لقيادة الانسان نحو النور، بعد تجارب الأزمنة الماضية، الصعبة والقاسية، من حياة التراجع والظلام.

في الختام، ومن باب التاكيد على أهميّة المستجدات العالمية، والتي بدأت بالتبلور في هذه المرحلة، وهي من نتائج التحديث والنهوض والتطوّر للقوى والأطراف الدولية المختلفة؛ التي أسّست بدورها وجهودها وعملها، تأثيراً وازناً ومختلفاً، في مواجهة القوى الدولية الكبرى، صاحبة النفوذ التاريخي في الساحة العالمية، وجب القول إنَّ التحالف الأصدق بين الأقطاب الكبرى في الغرب والشرق، قد قام بتأسيس المعادلات الجديدة، المهمة والاستثنائية، ومن خلال ثلاثية القوّة والذكاء والحكمة، لمعالجة التوازن المفقود في السياسات الدولية الراهنة.

الدور والأهمية للتحديث في الحياة الإنسانية، هي الغاية الطبيعية الأولى، في تاريخ الوجود البشري. وإنَّ مكانة البشر من هذه الغاية، تكون من خلال هذا الدور الايجابي، الذي يهدف إلى زيادة العدل والخير والاحترام في حياة الإنسان.

أهل التِّيه

زهراء المنصور

ساعة من التّيه في حضن المسرح على مركب؛ لثلاثة من الغاصة وابن نوخذة، قرروا سرقة حصيلة اللؤلؤ والفرار بعيداً عن المحمل الكبير. وما إن فعلوها، حتى التهمهم التشتت، واختلاف الأهداف، والطموح، أوصلهم إلى تيه حِسّي في البداية بين أفكارهم وسعيهم، وبين ما وصلوا إليه من ضياع حقيقي لأخلاق وإنسانية وجهة وصول اجتهدوا للوصولِ إليها، وحتى الطمع بالحصيلة لم يعد ذا أهمية، وقد تقلص الماء، وبات الموت وشيكاً. فما نفع الغنى بعد الحياة؟

حدث مكتوب بشكل تقليدي للكاتب المسرحي السعودي عباس الحايك، عبر فعل سبق العرض، وهو السرقة التي اتفق عليها الأربعة، ومن ثم يبدأ مباشرة في المركب الذي تدور فيه الأحداث، حتى يحصل ما هو متوقع: ألا تتحقق أمانيهم التي أتت على حساب بقية البحارة على السفينة الكبيرة؛ حيث نهبت كل الحصيلة، على أمل أن يبدأ كل منهم حلمه الذي حسبه بعيداً لضيق ذات اليد، والفقر، والتقتير عليهم من قبل النوخذة، وعيشهم المستمر تحت تهديد الديون؛ وينهي الحايك نصه برمي المسروقات من قبل ابن النوخذة في قاع البحر، بعد احتداد الآراء، ورمي أحد البحارة نفسه وراء الثروة التي طالما حلم بها؛ فحياته لا تساوي شيئاً وهو فقير معدم كما يكرر هو في مضمون حواراته مع الآخرين.

أما العرض، لمخرجه جاسم العالي، فقد نقلنا في «التِّيه» مع شخوصه في قاعة صغيرة محكمة؛ بعيداً عن الخشبة التقليدية، يلتحم فيها الجمهور مع الممثلين، الذي خرجوا بدورهم للحاضرين قبل البدء، وكسر الوهم عن شخصياتهم التي ستلبسهم بعد قليل، خصوصاً في ظل عدم وجود ستارة تحجب الحدث وما قبله عن الحضور، وقد لا يفصل فيها المتلقي الممثل عن شخصيته خارج العرض، لكن نظرة فاحصة للمكان تؤكد أن كل الموجودين في هذه القاعة متورطون؛ حيث لا حدود فاصلة بين الطرفين! وهذه شراكة غير مختارة من قبل الجمهور الذي أتى مشاهداً، فأصبح ضمن الحدث بغير إرادته.

قطعة الديكور الأساسية عبارة عن صارية في المنتصف، ثابتة في نصفها، ومتحركة في الطرف حسب الحركة، وإضاءة زرقاء معظم الوقت لا تمنحك الفرصة أن تستقل بعيداً عن العرض، كأنّها حبس إجباري، ولكنه وجد نفسه في منتصف اللعبة؛ فلا يستطيع المغادرة، ولا يقدر أحد أن يكسر جو التعايش، لأن الباب يغلق، ولا يسمح لأحد بالدخول أثناء العرض لكي لا تنتهي اللعبة. فهناك إغراق في معاناة فردية لكل منهم، وصراعات بينهم، كل هذا والوقت محدود. فهم في قرارة أنفسهم ميتون في كل الأحوال.

وفي عرض «التِّيه» الذي حمل اسم النص بلا تغيير، اجتهد المخرج في إخضاع أكثر من مدرسة في رؤيته للعمل، وهو أمر حميد لو استخدم بشكل متساوٍ يخدم بعضه البعض. لكن حين تكون هناك مسافة بين العناصر وبعضها، فلا بد من تفصيل مفيد. فالحايك قدّم نصه في مكانه، وفي بيئته الأساسية في الخليج؛ حيث كل العلامات التي تعطي معلومات عن المكان: النوخذة/ الغوص/ اللؤلؤ/ الداتة وغيرها الكثير الذي يعطي الحقبة الزمنية التي تحمل شكلها وعلامتها أيضاً، لذلك سمى شخصياته بأسماء خليجية قديمة، مناسبة، وتليق بسياق الحدث وتوقيته.

أما الرؤية الإخراجية، فقامت بتغيير الأسماء إلى: كروان، ومرجان، وعمران، وفرحان، وهذا السجع – إن صحّ المعنى– غير مثمر في نمو العرض، بل أدعى أن تكون هذه الأسماء في إطار كوميدي أو خيالي؛ مثل سياق ألف ليلة وليلة الذي يحفز على حفظ الشخصيات الكثيرة في قصصها، والمقرونة بأفعال تعني أسمائها. وقد يكون هذا الأمر مطبقاً على كروان، المعادل لشخصية النهام على ظهر السفينة، باعتبار أنه الصوت الجميل في الحالتين، لكنه إضعاف للحالة العامة التي تتطلب قدراً كبيراً من التراجيديا التي تثير التعاطف، والقهر، ومن ثم المأساة، والأسماء –هنا– لا تتسق بالتأكيد مع الحالة. ولو عمل المخرج على تسمية الممثلين بأسمائهم الحقيقية –على سبيل المثال– أو أسماء مقاربة لهم، لكان هذا أفضل للعرض، وأقرب للواقع وربط

الأشياء ببعضها. وعلى صعيد متصل؛ يمكن ألا يكون هناك اعتراض في حال لو سرت هذه الأسماء على الجميع. لكن إقحام اسمي البنت (هدى) والحبيبة (ندى) في زمن الغوص؛ حيث لم يكن الإسمان متداولين في الخليج في وقت الغوص، بالإضافة طبعاً إلى عدم مناسبتها مع أسماء الذكور، يتطلب إعادة حساب وتناسقاً محسوباً يأخذ العرض إلى منطقته المناسبة.

أيضا إدماج الحضور بالصالة، وإلغاء الحائط الرابع، يتطلبان مقاربة الحدث للجمهور، وهذا يتم عبر فهم مكنون الشخصية ودوافعها في الفعل. فالبحارة الثلاثة يشتركون في الفقر والعوز والحاجة الشديدة إلى المال، لكن نوازعهم مختلفة؛ كروان المحب الشاعري الذي يترجى من هذا المال أن يستطيع الزواج بحبيبته، والآخر الذي يمنّي نفسه بالرجوع إلى ابنته بكل ما تطلب، أما الثالث فالمال قضيته الأولى قبل كل شيء، وحاجته لا تقل عن الباقيين، لكن هدفه الأوحد في الحياة الغنى. ابن النوخذة فعلها معهم لرغبة داخلية في الانتقام من سيطرة والده، ومن وضعه الذي لا يعجبه، وهو الذي تمنى أن يولد لأب غيره؛ فلاح أو نجار. ولأن الحوارات غير مشبعة، لم يصل المعنى بالكامل، ولمَ هو حانق عليه بهذا الشكل الذي يجعله يتمنى أباً آخرَ. فالآخرون ألمحوا إلى وضعهم بأسلوب مقارب للطريقة الشعرية، على حين أنه يجب أن يستشعر كل فرد فيهم هذا التِّيه في الضياع، والاختلاف، والعطش، والاختلاف، والقصور في التفكير، والمقارنات، ووحدة الأهداف وتشتتها نتيجة عدم الانسجام والتفاهم، حتى يصل المتفرج إلى نفس الإحساس بالتِّيه.

وينعكس هذا أيضاً على الاكسسوارات المستخدمة في العرض، والتفاصيل مهمة هنا. فأولها بقع الملابس «النظيفة»، والملطخة ببقع تبدو موحدة ومنظمة إلى حد كبير. ماذا لو منح العرض الحرية لكل ممثل أن يفعل بزي شخصيته ما يراه مناسباً؛ من بقع، أو تلطيخ معتاد من غاصة استغرقوا في عرض البحر على المحمل شهوراً، قبل أن يهربوا بما سرقوه على المركب الصغير؟ الحالة

ستكون أصدق وأقرب لحقيقة حياة البحار؛ من اهتراء أو تغير اللون الأبيض «الناصع»، بحكم طبيعة العمل المرهقة. ويطول هذا أيضاً الاكسسوارات المستخدمة من حبل، و»فنر»، وخاتم زواج في يد أحد الممثلين! هي تفاصيل صغيرة، ولكنها مؤثرة، وتضرب في أصول اللعبة المحكمة التي أرادها المخرج لعرض متكامل.

واتكل جزء كبير من العرض على «كروان»/ النهام الذي أثرى الحدث بمواويل وصوته الذي يعد إضافة إلى موهبة وحضور الممثل عقيل الماجد، خصوصاً في وضعه كعاشق لم ولن يطال محبوبته التي باعد بينهما الفقر. هذا الغناء يظهر صادقاً ومتوحداً مع الحالة. لكن لو قنن العرض هذا الاتكال حتى يشتاق المتلقي لهذا الشجن، ومن الناحية الأخرى يتم التركيز على تصدير حالات الآخرين عبر حوارات توضح تاريخ الشخصية، وتفاصيل أخرى مهمة؛ سواء كانت موجودة في النص الأصلي للحايك، أو تلك التي يراها المخرج إضافة للعرض، كما فعل في أكثر من موقع.

ومن الواضح أن الأداء التمثيلي للمجتهدين الأربعة يحوطه انسجام واضح، رغم طبيعة العلاقة داخل اللعبة التمثيلية، ويستشعر المتلقي هذا في أدائهم العام، الواثق والمتكامل؛ إذ لا أحد يرغب في العلو على أداء زميل، عدا قليل من التشنج لدى شخصيتين لم يتجاوز الثواني. كما أن وجود ابن النوخذة، المرسومة شخصيته بعناية، تتناسب مع العنجهية الكاذبة التي تظهر عند الشعور بالورطة، وانحسار فرص النجاة مهم في الحدث، وتكوين شخصيته الهشة التائهة أيضاً بين شخصية الأب المسيطرة، وبين عدم امتلاكه أي عمل يجعله فارغاً من الداخل، وهذا ما يخلق الخلافات بينه وبين الآخرين. ومع أن جميع الأدوار متساوية، إلا أن وجوده بينهم ضاعف الصراع؛ إذ يستند على قوته «الوهمية» ضد الباقين الذين يستسلمون لهذا الضعف، ويكمل أحدهم دور الخادم برضا معتاد، كأنّه خنوع نألفه بين رئيس ومرؤوس في مستويات عدة! بينما في واقع الأمر أن الجميع متساوون في كفة واحدة. وهذا الذي تهفو نفسه إلى المال، أياً كان مصدره وأياً كان المصير الذي سيقوده إليه، حتى لو رمى نفسه إلى التهلكة بإرادته! كلها نماذج قريبة ومشاهدة، وكلنا نعرف شخصاً أو أكثر بهذه المواصفات.

من الجميل أن هذا العرض قد بُني على أساس تقديمه في أماكن مختلفة؛ لسهولة التنقل، وعدم الحاجة إلى تعقيدات شكل الخشبة التقليدية، وهي فكرة نبيلة ومجدية، قياساً بأغلب العروض التي تعتمد على تدريبات مطولة، وتكتفي بليلة عرض أو عرضين في الغالب، عدا عن العروض التي تصمم أصلاً للمشاركة بها في المهرجانات الخارجية، دون أن يكون لها عرض واحد داخل الدولة! لذا، فإمكانية تكرار العرض في أماكن مختلفة ستكون متاحة وسهلة بالعناصر الحالية المختارة بعناية.

أما أعظم انتقالة من النص إلى العرض، فهي استبدال المخرج اللهجة البحرينية – التي لا تستخدم بشكل صحيح في جميع الأوقات – بنص مكتوب باللغة العربية الفصحى، كما يفضل الحايك دائماً في نصوصه. هذا أعطى روحاً جديدة للنص عن كونه فصحى، قارب المسافة والمعنى، رغم أن نصوص المؤلف تكتب بلغة عربية بسيطة، بعيدة عن التعقيد. لكن الألفة مع الحوارات، التي تؤكد أن هؤلاء هم أهلك وأقربائك والناس الذين تعرفهم، يؤكد على جمال الفكرة ويكرسها.

الفكرة الأساسية لعرض «التِّيه» هي الخنقة التي يحوط المتلقين به، لحدث بدأ قبل العرض، واستمر أثناءه، حتى يوصلنا إلى الذروة، ومن ثم الانفراجة التي – حتماً – لن تنتقل بعيداً عن «التِّيه»، سواء بنهاية النص الأصلي، أو بالرؤية الإخراجية التي اعتنى بها العرض لتكون متخيلة في ذهن كل متلقٍّ حسب تصوره. ولذلك، فإن فكرة التمرد هنا ليست فكرة شريرة، وترمي فقط إلى إسقاط ثوابت أن يكون النوخذة هو صاحب النصيب الأعظم للمال، بينما من يجنيه ويحضره هم غاصة أقرب ما يكونون لـ»سخرة»؛ حيث إن ما يتقاضونه في مهنة الموت هذه لا يتعدى عيش الكفاف، ويظلون في دائرة الديون حتى يورثوها لأبنائهم، مثلما يورث النوخذة قسوته وأنانيته واستحواذه على ثروة، حقيق أن يتقاسمها مع بحارته. ولكي لا تبقى الحياة بين مفترقين إجباريين: الحياة في عوز، أم الغنى في الموت، كما كان خيار عمران في رحلة تيهه!

بطاقة العرض

مسرحية "التِّيه" من تأليف: عباس الحايك، وإخراج: جاسم العالي، تمثيل: علي بدر/ صادق عبدالرضا/ علي حسن/ وعقيل الماجد. سينوجرافيا: حسن حمد، تدريب إيقاعات: حسن المحاري، إدارة إنتاج: علي محسن.

صنعة الكتابة

كثيرا ما ألحَّ على إحدى صديقاتي أن تكتب وتصدر عملا جديدا بعد غياب دام أكثر من إثنتي عشرة سنة، ولأنّها ربّما تعبت من الشّرح وتبرير غيابها وكثرة انشغالاتها، أهدتني في آخر لقاء لنا كتابا فاجأني بعنوان «صنعة الكتابة» للكاتب ف.سكوت فيتزجيرالد (صاحب رواية عاتسبي العظيم) ترجمة: جوهر عبد المولى، صادر عن منشورات حياة.

د.بروين حبيب

الكتاب مقسّم إلى عشرة فصول، يسبقها تمهيد من أربع صفحات، ومقدّمة من ثلاث صفحات، لكن الجواب على سؤال كان في أول صفحة، وقد صدمني وآلمني في الآن نفسه: «قصّة حياتي هي الصّراع بين رغبتي الجارفة في الكتابة ومجموعة من الظروف التي كانت عازمة على أن تحول بيني وبينها» مع الإشارة إلى أن هذا الكلام ورد في تصريح للكاتب في حوار لمجلّة «ذا ساتردي إيفنينغ بوست» The Saturday Evening Post بعد النجاح الكبير الذي حقّقته روايته الأولى This side of Paradise العام 1920.

وقد أشرت في مقالات سابقة وبشكل مقتضب وعابر إلى معاناة فيتزجيرالد مع زوجته زلدا التي امتصّت طاقته بتقلباتها المرضية، لكني لم أنتبه إلى العمر المهدور الذي كرّسه لها من أجل تغطية تكاليف علاجها وإهماله لموهبته. كانت الخيارات أمامه صعبة هو الذي امتاز بقلب عاشق وإحساس مرهف وضمير مستيقظ طيلة الوقت.

اختلفت حياته عن حياة همينغواي الذي أقام علاقات عديدة مع نساء مختلفات، وتنقل من بلد إلى آخر، وغامر بإقحام نفسه في حروب كمراسل وهي التجربة التي ظلّ تأثيرها السلبي مستمرا عليه حتى بلغ نقطة الصفر بنفسه وأطلق رصاصة الرحمة على دماغه المضطرب.

لم ينل فيتزجيرالد جائزة نوبل، ولم يبلغ شهرة همينغواي، إلاّ أنّه كان قريباً من قرّائه دون عنجهية، حتى لُقِّب ب "المعلّم الماهر" كونه كان يجد متعة كبيرة في عرض وشرح ونقاش قناعاته الأدبية.

«لم يشعر فيتزجيرالد بالغيرة تجاه كبار الأدباء، وظلّ منغمسا في عالم الكلمات» وترك رسائل كثيرة كتبها لابنته سكوتي كما ترك أثره البالغ في الأجيال التي أتت بعده لأنّه اهتم دائما باليافعين، وبالأجيال القادمة كما ورد في التمهيد الذي كتبه تشارلز سكربنر الثالث حفيد سكربنر المؤسس لشركة التي تحمل إسمه، والذي يعمل حاليا مؤرِّخا ومحاضرا وكاتبا ويعيش في مدينة نيويورك.

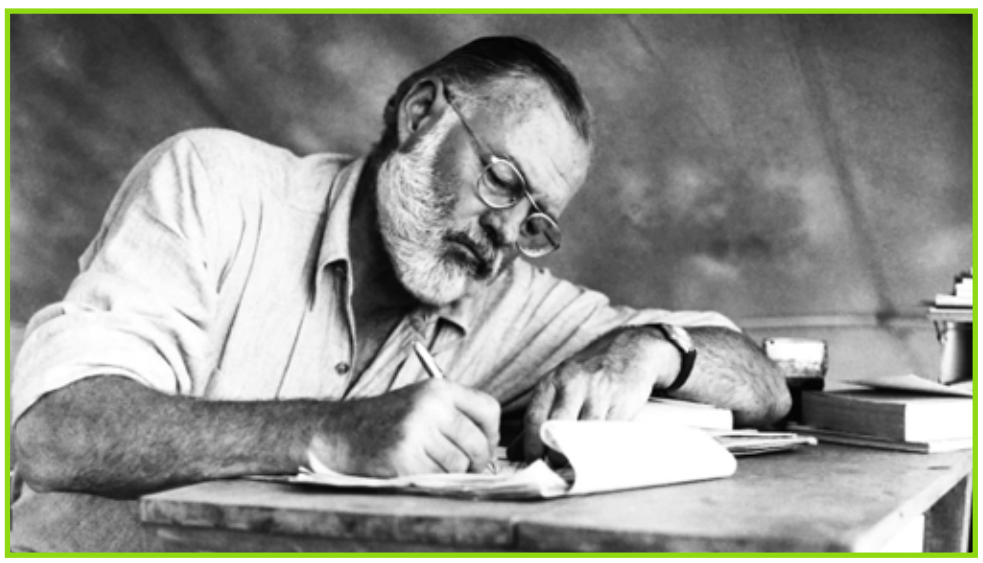

ارنست همنغواي

علاف كتاب «صنعة الكتابة»

في مقدمة الكتاب يَوصف فيتزجيرالد أنّه يحب إرشاد الآخرين "كان بداخله شعاعُ المعلِّم". وسنفهم بعد هذه الجملة العميقة بسهولة حين ننهي قراءة هذا الكتيِّب الصغير المانع (130 صفحة من القطع الوسط).

يضعنا مثلا أمام قاعدة ذهبية حين تحدّث عن رواية كونراد "زنجيُّ سفينة نرسيس" تقول: "أهم عنصر في العمل الأدبي هو أن تكون ردّة الفعل تجاهه عميقة وذات نَفَس طويل"، ينبّهنا الكاتب إلى أهمية القارئ قبلَ ظهور ما سُمي بمدرسة كونستانس الألمانية التي اهتمت بجماليات التلقي، وبعلاقة دلالة النص الأدبي بالقارئ، يذكر فيتزجيرالد ذلك بوضوح المتنبئ بمستقبل الأدب حين تحدّث عن روايته "رقيقٌ هو الليل" قائلا: "ليست ذات طابع مؤثر الآن، أعتقد أنني سأكون أكثر سعادة إذا ما ظهر هذا الأثر بعد مضي وقت طويل، أي بعد أن يكون القارئ قد نسي إسم المؤلّف". وهنا أعتقد تكمن عبقرية هذا الكاتب الذي حارب الظروف وترك أعمالا صنّفته ضمن عظماء الكتّاب في العالم.

هذه المعلومات القيّمة وغيرها ذُكِرت في كتاب رسائل ف. سكوت فيتزجيرالد الذي نشر بعد ثمانية وعشرين عاما بعد وفاته، بعد أن جمعها وحرّرها آندرو تورنبُل. وهي معلومات تبين معدن الرّجل الفريد وخلفيته الثقافية الثرية،

وتميزه في سلك طريق مختلف لترميم نفسه بالكتابة. فقد كانت داءَه ودواءَه في الوقت نفسه، وكانت ملاذه الوحيد حين تنهار زلدا وتدخله معها إلى دوّامتها العاصفة فتنهكه لدرجة أنها توصله إلى بوابة الجحيم وتتركه هناك.

الخلاصة أن فيتزجيرالد كتب الكثير من الرسائل لأصدقاء له من العائلة الأدبية كما يسميها، وفيها الكثير من النّظري الذي يحتاجه كل كاتب مبتدئ يرغب في بدء مشواره الأدبي أو النقدي. صحيح أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا يضمُّ مقاطع صغيرة منتقاة بدقة من رسائل طويلة، وفقرات من نصوصه الروائية لكنها زبدة أفكار الكاتب، الحاملة لأغلب رؤاه للعمل الإبداعي الأدبي.

وأيضا يختصر لنا بشكل صورة كاتب مشبّع بالثقافة الأمريكية المنعكسة في لغته. خارج الرومانسيات التي تعوّدناها يصف لنا الكتابة كالتالي: "صنعة مريعة تقتضي كثرة الجلوس والحرمان من النوم في الليل وعدم الرِّضا الذي لا نهاية له». وفي موضع آخر يقول لإنّ "كلّ كتابة جيدة هي تماما كأن تحبس أنفاسك وأنت تسبح تحت الماء".

من المستحسن هنا قراءة الفصل كاملا، عن الدوافع التي جعلته يتجه للكتابة خاصة حين اصطدم بمدرّب لم يفهم لماذا يكرهه رغم شطارته في لعبة كرة القدم الأمريكية، وتهميش هذا المدرّب له هو ما جعله يكتب قصيدة ستكون أول نص يرفعه ويجعله ذا شأن. وقد قادته هذه التجربة المبكّرة إلى قاعدة أخرى ذهبية في حياته، "إذا لم تكن لديك القدرة على تأدية دورك من خلال الممارسة الفعلية، لا بدّ أن تستطيع على الأقل أن تكتب عن التجربة".

يضع الكاتب مجموعة من مفاتيح الكتابة أمامنا دون ضغينة أو حقد أو غيرة في أن يأخذ قلم شاب مكانه، يشارك خلاصة تجربته الإنسانية والإبداعية مع قرائه ببذخ لا مثيل له. يسمي من أثّروا فيه وقادوه إلى غرفة الكتابة مخدّرا بكلماتهم، ولا يرى في ذلك تقليلا من قيمته. الرّجل عشق لعبة الكلمات منذ نعومة أظافره وقد قادته قراءاته إلى محطّة قصدها بقلبه وعقله معا. لا يخفي مثلا تأثره بالكاتب هْيُو والْبول ليس لأنه كاتب جيد، بل لأنّه كاتب سيء، يدهشنا حين يرى نقطة النور تنبعث من رواية قرأها لها وهو مسافر من نيويورك إلى واشنطن، وبعد مئة صفحة قال لنفسه إذا كان هيو والبول تجرّأ على الكتابة وبدأ يحقق انتشارا آنذاك، فحتما سيكون له شأن آخر إن هو كتب!

وكان ذلك دافعا جيدا له ليقرّر أن يصبح كاتبا. ولعلّ رؤيته الإيجابية هذه للأمر تجعلنا نتذكّر حجم اليأس والإحباط اللذين يصيبان البعض حين يصادفون نصوصا سيئة سريعة الانتشار محققة مدخولا جيدا لكُتّابها، فيتوقفون عند نقطة انتقادهم دون المضي قدما في كتابة تجاربهم الخاصّة كإثبات على أنهم الأفضل.

في الفصل الخامس يتحدث الكاتب عن تقنية بناء شخصياته، وفي الفصل الذي تلاه قدّم مجموعة مهمة من النّصائح المهمة للكُتّاب، وخصّص السابع للنّقد والنّقّاد، مع ملاحظة أنه يعتبر ناقدا فذًّا، حتى لنفسه، ولم يكن بحاجة لناقد يضع يده على نقاط ضعفه، كذلك لديه نظرة حادّة فيما يخص مستقبل الكُتّاب، لقد كتب لناشره ماكسويل بيركنز على سبيل المثال: "أكتب إليك لأخبرك عن رجل أمريكي يدعى إرنست همنغواي يعيش في باريس ويكتب لصالح ترانس أتلانتيك ريفيو. لديه مستقبل باهر، لو كنت مكانك لزرته على الفور. إنه الرّجل المنشود".

يعرّج في الفصلين الأخيرين على عالم النشر وكواليسه من تحرير وطريقة تسويق تقنع الكاتب قبل السوق التي يدخل فيها الكتاب مجرّدا من كل أسلحته إلاّ من سلاح لغته ومحتواه. كان فيتزجيرالد من دعاة ترك سمعة الكتاب تنمو نموًّا طبيعيا بعيدا عن الدّعاية الصاخبة.

في الفصل الأخير وهو الأكثر إمتاعا لدرجة تمنيت فيها لو أن حجم الكتاب كان أكبر بقليل، سيمنحنا الكاتب فرصة التعرّف عليه أكثر، وعن مسيرته ككاتب عرف الرّفض وكل أنواع العراقيل التي حالت بينه وبين التفرّغ للكتابة.

ما يدهشنا في آخر هذا الكتاب أيضا هو أن سعر القصّة مذيّلة باسم فيتزجيرالد بلغ ال 2000 دولار في عشرينيات القرن الماضي وهذا ما يحزننا ككتّاب في العالم العربي بحيث أن الكاتب يسعى لنشر قصصه ونصوصه دون مقابل، وهذا ما جعل النصوص الرديئة والجيدة تتساوى في سعرها البخس، ولعلّ هذا هو السر وراء حياة الأدباء البائسة إلاّ ما ندر، من الذين تغدق عليهم بعض الجهات هبات شخصية أكثر منها مكافآت أدبية.

الكتاب أكثر من ممتع، وأكثر من مؤثّر، وأعتقد أن صدوره باللغة العربية جاء في وقته تماما، عسى أن يزرع الأمل في قلوب المبدعين الحقيقيين وهم يواجهون جحافل من المتطفلين على الكتابة والمتألقين عبر مواقع التواصل الاجتماعي والتطبيقات الإلكترونية الجديدة سارقين الأضواء ممن يستحقها!

حسن مدن يتناول مساهمات الكتّاب العُمانيّين في مجلة «صوت البحرين»

عن النادي الثقافيّ العُمانيّ، صدر للدكتور حسن مدن كتاب: «كتّاب عُمانيّون في مجلة صوت البحرين»، الذي تناول فيه بالعرض والتحليل كتابات أربعة من كتّاب وأدباء عمان في صحافة البحرين في منتصف القرن الماضي، والكتّاب هم عبدالله الطّائي ، أحمد محمّد الجمالي، حسين حيدر درويش، ومحمّد أمين بن عبدالله.

وأشار المؤلف إلى أن مردّ اهتمامه بتلكَ الكتابات وأصحابها آت – قبلَ كلِّ شيْ – منْ اعتقاده أنّهم – جميعًا – شكّلوا روّادًا – كلٌّ فيً مجالِ كتابته – للكتابة الصّحفيّة والأدبية والفكريّة في بلدهم عُمانَ، وكذلك على مستوى منطقة الخليجِ، فعبدالله الطّائي كانَ منْ أبرزِ روّادِ النّقد الأدبيً في المنطقةِ، بما أولاه مَنْ عناية لتتبّع جديد الأدب، خَاصةَ الشعر، أما حسين حيدرِ درويش، فكان في سلسلةَ مقالاته «أوروبا كما رأيتُها» كان، وفق تقدير حسن مدن، أوّل كاتب من أبناء الخليجِ تناول هذا الموضوع في وقت مبكّر، أمّا مقالاتُ كلّ من محمد أمين عبدالله وأحمد محمد الجمالي فلاحظ الكتاب أنّها نحت منحىً فكريًّا، ينمّ عن متابعة جيّدة لمستجدّات الوضع الدوليّ بعد نهاية الحرب العالميّة الثّانية؛ إذ إنّ الجزء الأكبر من مقالات الرجلين تدور حول ما طرحه عالم ما بعد الحرب، إن لجهة نشوءِ معسكرين دوليّين – كلٌّ واحد منهما يتبنّى رؤية وفلسفة نقيضتين لرؤية وفلسفة الآخر، إحداهما رأسماليّة والثّانية اشتراكيّة، وهو ما اعتنى الكاتبان بإبرازه، كما أوليا الاهتمام بمكاننا، كأمّة عربيّة، في الوضع الدوليِّ المستجد، من منطلق الرّغبة في أنْ تنهض أمّتنا، وأنْ تتحرّر منَ كوابح التقدّم والنهضة.

ويقول المؤلف إن غاية الكتاب لم تكن فقط إبراز أنّ كتّابًا عُمانيّين متميزين كتبوا في صحافة البحرين في منتصف القرن العشرين كوجه من أوجه التّفاعل والتّرابط بينَ أدباء منطقةِ الخليجِ العربي، وإنّما، أيضًا، إظهار أنّ هؤلاء الكتّابَ الأربعةَ تميّزوا عن بَقيّة نظرائهم منْ كتّاب تلك المرحلة بأوجه أسبقيّة وريادِيّة، سعي الكتاب لتسليط بعض الأضواء عليها.

مـــرغـــريـــت ميتشـــل
وروايـــة «ذهـــب مـــع الـــريـــح»

لو لم تمت مبكراً، فلربما كان لها في حياة الأدباء شأن أكبر، لكن كثيراً من الأدباء والمفكرين والفنانين يمرون بالأرض سراعاً، ومع ذلك يتركون آثاراً باقية طويلة البقاء، ومارغريت ميتشل (١٩٠٠ – ١٩٤٩) من هذه القلة التي طبعت جيلها بطابعها الخاص من خلال روايتها اليتيمة (ذهب مع الريح)، لنكون، في جزئي الرواية، إزاء قصة حب، وإن شئت فقل إزاء سيرة حبّ بارعة في معانيها ونتائجها، وتشاء الأقدار أن تتوفى كاتبتها في حادث تصادم سيارتين عن عمر لم يتجاوز التاسعة والأربعين سنة.

حميد الملا

تتابع الصور في الرواية، وتختلف فيها المناظر، وتكثر فيها الأحداث، وتثار فيها عواصف الغيرة والمنافسة. تتبع الأحداث بشغف وتوتر ومجالدة لترتاح في نهاية المطاف من عناء ومتابعة تلك الأحداث المتتالية التي نلهث وراءها ولكن بفضول ومتعة، فقد بذلت الكاتبة في هذا العمل ما يبهرك ويسحرك لتنفق الساعات الطوال في قراءتها دون ضيق أو ملل، فهي تضجّ بالحياة، وتملأها العاطفة، والصراعات وحتى الحرب، حيث تؤرخ الرواية، التي يزيد عدد صفحاتها عن الألف صفحة، لأحداث الحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأمريكية، ففيها لذة للنفس ومتعة للقلب، وما يبعث على رضا من يحبّ الأدب، فضلاً عن اللفظ المتين والأسلوب الرصين، حين يتابع، عبرها، ما جرى من أحداث تلك الفترة بدءاً من عام 1861، فاستحقت الكاتبة عن جدارة الشهرة والثناء على ما أنجزته من عمل خلّدها وأبقاها حيّة في قلوب محبي الأدب.

صوّرت لنا الكاتبة الحياة في تلك الحقبة في طائفة من الصور، فالتمست في أحداث الحرب والحب موضوعاً لمعرفة أحوال الناس في حياتهم اليومية، وفي صلاتهم المألوفة، وفي عواطفهم، ما اقتضى أسلوباً خاصاً يُحسن وصف تلك الأحداث ويجيد التعبير عنها فلاءمت بين اللغة وتلك الحياة، فهي تتمثّل بعض هذه الأحداث وكأنه لم يمض عليها الوقت، فليس من المستغرب إذن أن تستغرق كتابة هذه الرواية ست سنوات نظراً لضخامة حجمها، خاصة وأن الكاتبة عانت من مرض روماتيزم المفاصل مما أدى إلى اعتزالها للصحافة لتتفرغ لشؤون المنزل بعد زواجها برئيس تحرير صحيفة (اتلانتا جورنال) التي كانت تعمل بها كمحررة صحفية .

كانت تصف الأحداث بتوسع كما كانت تصف شخوص الرواية كما كانت تصف لذة الحب، كما كانت تصف أي موضوع من مواضيع الحرب الدائرة ين الشمال والجنوب في أمريكا بكل اقتدار وبأناقة فائقة الجمال والروعة، في وصف المشاعر الإنسانية وفي التعامل مع السود كرقيق أو محاولة تحريرهم من العبودية كبشر لهم ما للبيض من حقوق وعليهم ما على البيض من واجبات استدعت تعديل الدستور الأمريكي.

رواية مزدحمة بالأحداث والشخوص، متعددة الأماكن، وجدت في العلاقة العاطفية بين شخصيتين رئيسيتين وهما (سكارلت أوهارا) و(ريت بتلر) مفتاحاً للموضوع، حينما نسجت خيوط بدء هذه العلاقة العاطفية بكل ما يتعلق بسلوك الناس في ظروف الحرب، وبتفكيرهم وعاداتهم، وما يواجهونه في تلك الظروف العصيبة، شارحة ببراعة كل شاردة وواردة، لتصبح مارغريت ميتشل من أشهر الكتّاب الأمريكيين الذين كتبوا عن الحرب الأهلية، حيث تفتننا شخصياتها كشخصية (ميلاني هاملتون) من حيث النفس السمحة الوديعة، القوية العالية الطيبة والهدوء والإخلاص والشجاعة والكرم وحب الآخرين وبالخصوص لزوجها (آشلي ويلكس) الذي تحوم حوله بطلة هذه الرواية (سكارلت أوهارا) للايقاع به بغرامياتها المتعددة بعد أن خلب عقلها فأحبّته حبّا عاصفاً، لما كان عليه من خصال جميلة، رقيقة، مؤثرة خليقة إلى جانب كونه ظريفاً، لبقاً رشيقاً، خفيف الروح، فاتناً، فكان من أجمل الناس وجهاً، وأحسنهم صورة، وأرقّهم لفظاً وأعذبهم حديثاً، ما جعلها تتيه بهذا الجمال الذي أحدث في نفسها ما أحدث، فملك عليها يومها ونومها، واحتملت بسبب ذلك من الآلام والأثقال الشئ الكثير، الا أن نفسه امتلأت ريبة بما تظهره له وبما تعرض عليه من شهوات فلم يبادلها الحب وظلّ وفياً لزوجته رغم كل تلك المغريات.

رسمت لنا مرغريت ميتشل في "ذهب مع الريح"، وبإتقان، صوراً عديدة من شخصياتها بمختلف الوجوه منها الطيب ومنها الخبيث، منها المحب ومنها السئ، منها المخلص ومنها اللئيم، منها الجميل ومنها القبيح، وعالجت كل هذه الألوان من الناس بموضوعية وبحرفية، لتصبح روايتها فيلماً أنتج في العام 1939 وفاز بعشر جوائز أوسكار.

الخيال الواسع للكاتبة والشغف بالدراسات التاريخية وتاريخ المستعمرات كان حافزاً لها في ابراز موهبتها في الكتابة إلى جانب ما سمعته في طفولتها من أفواه المسنين عن احداث الحرب الأهلية وعلى الأخص الخدم من الزنوج، فعكفت على قراءة الوثائق والأسانيد عن تلك الفترة لتلمّ بانعكاسات تلك الحرب على المزارعين الجنوبيين وصعود المجتمع الصناعي وما رافق ذلك من فرض القيم لجديدة للمنتصرين بانهيار المجتمع الاقطاعي وتحرير العبيد.

ومع كل هذا العمل الروائي الجميل وصل بالكاتبة حدّ التواضع لتقول بأنها ظلّت تؤمن بأنها لا تستطيع أن تصبح روائية في يوم من الأيام: "أنا أنتج بشكل بطئ .. هذا لا يُسمى تأليفًا". "أعرف شيئا واحداً، قالت مرغريت لزوجها في أحد الأيام، إذا انتهيت من كتابة هذه الرواية فلن أعيد الكرة ثانية إطلاقاً".

قصة قصيرة

الحـــــريـــــق

عبدالحميد القائد

شاهدوه يعدو أمام المكتبات، يدخل في كل مكتبة ويلمُّ كل كتبه المعروضة فيها ويراكمها أمام الباب، يرشُّ عليها الكيروسين، يشعلها بعود كبريت لتتراقص النيران على إيقاع الحروف. استغرب المارةُ وتجمهروا يشاهدونه وهم صامتون. مرّ على خمس مكتبات وتصرّف بنفس الطريقة، وأمام المكتبة الأخيرة حضر رجال الشرطة على عجل، حذروه بأنه بهذه الطريقة يهدّد الأمن، نظر إليهم وهو يضحك بأعلى صوته ويصرخ "ماذا عن أمني أنا..ماذا عن وجودي أنا"، ثم أسرع بالجري بعيدًا عن موقع جريمته.

جلس على البحر ومعه كمّية من الأحجار الصغيرة، يرنو إلى الزرقة والموج الصامت الذي بدا له أنه يضحك ساخرًا منه، فبدأ يرجمه كل عدة ثوان لينفّس عن قهره انتقامًا من عشقه الطويل للبحر وموجه وزرقته وعن كل ما كتبه متغزّلًا به ومتيمنًا بقدرته على مسح كآبته ومنحه طاقة إيجابية تسعفه في مواجهة وحشية الحياة والناس. أغرق في التفكير وهو شبه مغمض العينين، وكأنه بين النوم واليقظة، تذكّر صباه عندما نشرت له جريدة أسبوعية أول عمل إبداعي، يومها شعر أنه يمتلك العالم كله، وأنه أصبح من الصفوة أو النخبة..من الطبقة المثقفة التي تصنع العالم وتغزل السحب والمطر وتحرّك الجماهير الواسعة وتصفق له إجلالًا وإكبارًا. غيّر من موقع جلسته، افترش الأرض مستندًا إلى جدار اسمنتي وهو يرنو إلى النوارس وهي تحلّق فوق رأسه، شعر فجأة أنها تجمّعت كي تخفف عنه ضياعه وغربته الزمانية والمكانية. كان هاتفه لا يتوقف عن الرنين فاضطر إلى أن يضعه على الصامت. توقّع أن صوره وهو يحرق كتبه قد غطّت السوشيال ميديا. وأصبح حديث المدينة والناس، كل الناس. أخيرًا أصبح مشهورًا يعرفه الجميع، ليس المثقفون فقط بل عامّة الناس أيضًا. كاتبٌ يشتعل جنونًا فيشعل كتبه محتجًا على موت القارىء. لا يهم ما يقولون، المهم أنه تخلّص من كتبه ومن وهَم الحروف التي عذّبته كثيرًا وخلقت له سلسلة من المنافي وهو في بلده. لعن الله من أشار عليه أن يكتب ليصبح كاتبًا يبلغ قِمم المجد. نعم بلغ قِمم المجد بالفعل لكنه مجد الاكتئاب والحرمان وجفاء الأقربين. يتمنى منذ زمن أن يبكي فإحباطاته هي كتل ضخمة من البكاء، غير أنه فقدَ القدرة على بثق الدمع. هو يبكي البكاء كله بنشيج الروح دون عبرات، العينان شاردتان في المجهول غير المفهوم. كل الأحلام والرؤى ارتطمت بجبالٍ غير مرئية هي التي تقبل عليك فجأةً دون موعد فترتطم بك وتهشّم كل ما بك من جمال ونقاء. حلم بتغيير العالم في رواياته وقصصه ونصوصه، فتغيّر هو فقط إلى رجل يحلم أن يعانق الصمت، فالصمت بطولة في هذا الزمن السريالي.

تذكّر أنه تمكّن أخيرًا من ـن يمحو بعض العتمة ولو وقتيًا عندما أطعم كل كتبه للنار فاعتبره إنجازه الوحيد في طريق النور.

عندما توجّه إلى بيته في وقت متأخر من الليل، وجد إحضارية من الشرطة، مثبّت فيها جرائمه: «تهديد السلم الأهلي وتحريض الناس على القراءة بطريقة غير مشروعة».

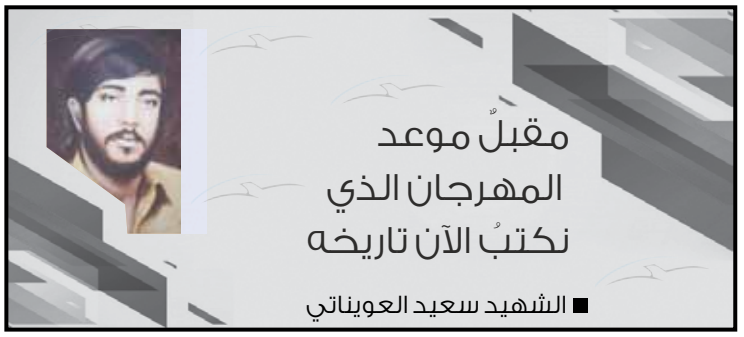

التقدمي

التقدمي العدد 188 ـ يوليو 2023 السنة 21 SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

لأحمد الشملان سلام

إنه بيت لايغلق!

شعر:
علي الستراوي

ويغادرون ..
يتركون لنا صدق النوايا
احمدٌ والخصالُ فجرٌ ..
يمتدُ جسرًا من الخُطى العاشقة
والحمامُ الذي يسافرُ في المعنى
ولا يغادرنا ..
ولا يعرفُ من الجهات المختلفة
ما يعيدنا للخصام ..
كونه وطنٌ غري جذوره في الحياة
قلم أحزاننا بفرح لايموت
ولا يعرف لمعنى الحزن مدى
يوقظ من الجذوة شعرًا ..
ومن الصمت بوحًا كبير السؤال
احمدٌ يا شجر العطايا ..
ويا بحرٌ على مائه سارت السفن
وانشغل البحارة بالغناء العفيف
ساعدٌ لا يعرف التعب ..
ولا ينحني يوم مال الهوى

تداركت خطواته أي نعش طفا ..
سار قبل أن تسير جبّانة الموت
وقبل أن تختلف العصافير على حكاية
الرحيل ..
مضئ يقلم احزاننا ..
ويتركنا للفضاء الكبير
عبر حكاية بدأت بتربة الارض ..
وانتهت بقبلة تشقُ الجدار
وتكتبُ ما لم يكتبه الخوف
سحابة من مطر البرق ..
ومن رعدٍ أوقظ القلب من غفوته
غادرتنا ..
ولم يغادرنا فعل نهرك في النبض
ولم نعيد لعبة الوقت ..
دون خيوط لا تنفك عن وجعنا
ولا نعرف دونك أنك حياة..
تمدُ أجسادنا بالدم .!

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com